

دار
الشروق



المكتبة
الكلاسيكية

ويليام شكسبير

ناجر البندقية

ترجمة: حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمة

(١)

نُشرت هذه المسرحية فى كتاب لأول مرة عام ١٦٠٠ ، أثناء حياة شكسبير . غير أن ثمة من الدلائل ما يشير إلى أنه كتبها فى وقت تال لنهاية يوليو عام ١٥٩٦ ، وسابق على نهاية يوليو عام ١٥٩٨ . وأهم هذه الدلائل :

* إشارة وردت فى المشهد الأول من الفصل الأول إلى السفينة « أندرو » (أوسان أندريز) ، وهى سفينة أسبانية ضخمة استولى عليها الإنجليز فى يونيو ١٥٩٦ أثناء هجوم مفاجئ لهم على ميناء قادس ؛

* تسجيل طلب بتاريخ ٢٢ يوليو ١٥٩٨ لدى الشركة المحتركة لحق الطباعة والنشر فى زمن شكسبير بطبع مسرحية « تاجر البندقية » ؛

* قضية التاجر البرتغالى اليهودى رودريجو لوبيز وإعدامه عام ١٥٩٤ بتهمة الخيانة العظمى .

وقد أضحى لوبيز هذا بعد اعتناقه المسيحية طبيباً للملكة إليزابيث الأولى . وحين وفد المطالب بعرش البرتغال ، واسمه دون أنطونيو ، إلى لندن عام ١٥٩٢ ، اتصل به لوبيز وعاونوه من أجل الوصول إلى غرضه . والظاهر أنه أقحم نفسه فى سبيل ذلك فى مغامرة سياسية خطيرة سعى فيها إلى تحقيق مصالح ذاتية له . وحين دب خلاف بينه وبين إيرل إسكس ، اتهمه إسكس بالخيانة وبمحاولة دس السم لدون أنطونيو وللملكة إليزابيث ، فحوكم لوبيز فى فبراير ١٥٩٤ ، وأعدم فى ٧ يونيو من نفس

العام . وقد نجح إسيكس في إثارة اهتمام الرأى العام بهذه القضية ، إذ نجد إشارات عديدة إليها في كتابات المعاصرين لها ، كما أعيد عرض مسرحية « يهودى مألطة » لكريستوفر مارلو ، فمُثلت خمس عشرة مرة فيما بين ٤ فبراير ونهاية عام ١٥٩٤ . وكان لنجاح تلك المسرحية أثره في حفز شكسبير على كتابة مسرحية مماثلة تؤذيها فرقته ، وتعرض « لموضوع الساعة » الذى يحظى باهتمام الجمهور . وقد رأى البعض إشارة إلى قضية لوبيز في قولة جراثيانو لشايلوك في المسرحية :

« ما روحك الشريرة غير روح ذئب شنقوه لقتله آدميا ، ثم طارت من المشقة لتنتقل إليك وأنت في بطن أمك العاهرة » ، علما بأن معنى الذئب في اللغة اللاتينية هو Lupus ، القريب من لوبيز .

(٢)

وقد استقى شكسبير أحداث المسرحية من عدة مصادر . فقصته ضهان اللحم الأدمى لسعيد العقد نجدها في الكثير من الأساطير الدينية عند الفرس والهنود . و نرجع أقدام القصص الإنجليزية المعروفة التى تتحدث عن مثل هذا الضهان إلى أواخر القرن الثالث عشر ، وفيها نجد الدائن يهوديًا . غير أن أشبه القصص بأحداث « تاجر البندقية » هى القصة الأولى من قصص اليوم الرابع في كتاب جيوفانى فيوريتينو « Il Pecorone » (الأبله) ، وهو مجموعة من القصص القصيرة الإيطالية كُتبت في نهاية القرن الرابع عشر ، وطبعت في ميلانو عام ١٥٥٨ . ورغم أنه لم يُعثر على ترجمة إنجليزية للقصة يمكن أن يكون شكسبير قد قرأها ، وبالرغم من أن الطريقة التى تم بها اختيار البطلة لزوجها تختلف في تلك القصة عنها في مسرحية « تاجر البندقية » ، فلا جدال في أنها المصدر القديم الوحيد الذى تتفق الأحداث والتفاصيل فيه إلى حد كبير مع تلك الواردة في مسرحية شكسبير ، بحيث يمكن القول في ثقة بأن شكسبير قد اعتمد إما على النص الإيطالى (وربما كان قادرا على فهم الإيطالية) ، أو على ترجمة إنجليزية له لم تصلنا ، وأن المترجم الإنجليزي قد

يكون هو المسئول ، لا شكسبير ، عن إضافة قصة الصناديق الثلاثة ، الذهبى والفضى والرصاصى ، عند الحديث عن طريقة زواج البطلة .

غير أن شكسبير كثيرا ما كان يستخدم أكثر من مصدر واحد للمسرحية الواحدة . ومن الجائز في حالة « تاجر البندقية » أن يكون قد استعان أيضًا بالكتاب الثالث من قصة « Zelauto » للكاتب ماندای (١٥٨٠) ، رغم أن المرابى مسيحي في تلك القصة . فحديث بورشيا في الفصل الرابع من « تاجر البندقية » عن الرحمة مقارب جدًا لما ورد في قصة ماندای . كذلك فإن لدى المرابى في تلك القصة ابنة تتزوج رغم إرادته من شاب يرث ممتلكاته في نهايتها ، وثمة سيدتان فيها تتكران في المحكمة في زى المحامين .

أضف إلى ذلك ذين شكسبير لمسرحية مارلو « يهودى مألطة » التى مُثلت على المسرح لأول مرة حوالى عام ١٥٨٩ . فثمة في المسرحيتين جمل عديدة متشابهة ، كما أنه لاشك في أن تصوير مارلو لشخصية باراباس كان له صداه في تصوير شكسبير لشخصية شايلوك ، وأن تحول ابنة اليهودى إلى الديانة المسيحية في مسرحية مارلو أوحى إلى شكسبير بفكرة تنصير جيسيكيا .

ومن المحتمل أيضًا أن يكون شكسبير قد استوحى أخلاقيات يهود لندن في زمنه . فقد كان يعيش في انجلترا في ذلك العصر عدد من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية تخايلاً منهم على القانون الذى يحظر إقامة اليهود في بريطانيا ، وظلوا مع ذلك محتفظين بأسلوب عيشهم المتميز وعبادتهم القديمة .

أما عن قصة الصناديق الثلاثة فلعل شكسبير (أو المترجم الإنجليزي لقصة « Il Pecorone ») قد استقاها من إحدى حكايات مجموعة Gesta Romanorum التى كتبت باللاتينية في العصور الوسطى ونشرت ترجمتها الإنجليزية عام ١٥٧٧ ، ثم أعيد طبعها بعد تصحيح الترجمة عام ١٥٩٥ . وفي تشابه بعض العبارات الواردة في تلك الطبعة الثانية مع بعض العبارات التى استخدمها شكسبير في حديثه عن الصناديق ما يوحى بأن قد استند إليها .

وأخيرًا فإن ثمة قصة إيطالية أخرى كتبها ماسوتشيو دى ساليرنو قرب نهاية القرن الخامس عشر تتحدث عن فرار ابنة بخيل ثرى من منزلها للحاق بعشيقها ، وبمعاونة

خادم لها ، آخذة معها مجوهرات أبيها الذى يحزنه ضياع مجوهراته قدر ما تحزنه خسارته لابنته . وهى نفس قصة جيسिका فى « تاجر البندقية » .

(٣)

وبالرغم من أن « تاجر البندقية » ليست من خيرة مسرحيات شكسبير ، فإن إقبال مسارح العالم على عرضها^(١) لا يفوقه غير إقبالها على عرض « هاملت » . ولعل للممثلين فى هذا الصدد تأثيرًا كبيرًا . فثمة شخصيات فى المسرحية هى قابلة لتأويلات مختلفة تُغرى كبار الممثلين بمحاولتها ، من شخصيتى أنطونيو ويسانيو اللذين كانا يُصوّران بصورة الصديقين الحميمين ، حتى بدأ البعض منذ ستينيات هذا القرن يضيف إليهما صفة الشذوذ الجنسى ويجعلهما يتبادلان القبلات حتى فى قاعة المحكمة ، إلى شخصية بورشيا التى تحوّلت إلى رمز للمرأة المتحررة القوية ، إلى شخصية شاييلوك التى تفاوتت التأويلات لها على مرّ القرون تفاوتًا كبيرًا ، وتراوححت ما بين الصورة الهزلية البحتة ، وصورة اليهودى الوغد عدو الإنسانية ، والصورة المأساوية لشخصية قوية نبيلة فى مواجهة مجتمع معادٍ له ، حتى وصلنا فى عصرنا الحديث - بعد ظهور النازية - إلى صورة الضحية البائسة لمشاعر العداء للسامية . وهى تأويلات ظلت تُغرى بمحاولتها أبرز نجوم المسرح فى كل عصر ، من تشارلس ماكلين (الذى لعب دور شاييلوك لمدة خمسين عاما ، وظهر فيه لآخر مرة فى سن التاسعة والتسعين !) ، إلى إدموند كين ، إلى ويليام ماكريدى ، إلى سير هنرى إيرفينج ، إلى سيرجون جيلجود وسير دونالد وولفيت وسيرلورانس أوليفيه وبول روجرز وبيتر أوتول فى زمننا هذا .

فشخصية شاييلوك مع قصر دورها (فهو يظهر فى خمسة مشاهد فقط من مشاهد المسرحية العشرين) هى المهيمنة على المسرحية . وإن نحن تأملنا شخصية « اليهودى

(١) خاصة فى ألمانيا .

الشرير » فى قصة « الأبله » (Il Pecorone) مصدر شكسبير الرئيسى ، أو شخصية باراباس فى مسرحية « يهودى مالطة » ، اتضح لنا أن شكسبير قدّم فى « تاجر البندقية » شخصية جديدة من خلقه هو وحده .

كان اليهود قد طردوا من إنجلترا فى عهد إدوارد الأول (توفى عام ١٣٠٧) ، واستمر حظر تواجدهم فيها ما لم يعتنقوا المسيحية ، شكليا على الأقل ، ففتح لهم عندئذ قدر من حرية ممارسة نمط عيشهم بل وشعائهم الدينية . وفى العقد الذى كتبت خلاله « تاجر البندقية » لم يحدث إلا مرة واحدة فحسب أن ثارت مشاعر الجماهير فى لندن ضد اليهود ، وذلك وقت محاكمة لوبيز وإعدامه . فاليهود فى إنجلترا فى ذلك العصر لم يكن ينظر إليهم بعين الخوف ، وإنما باعتبارهم أشخاصا غريبى الأطوار والعادات ، غريبى السلوك ، ينتمون إلى أزمنة سحيقة وأصقاع بعيدة ، ويكرهون المسيحيين كافة ، جديرين بالسخرية أكثر مما هم جديرون بالعداوة .

وقد كانت صورتهم فى الأعمال الأدبية عادة صورة مسطحة هزلية لا عمق فيها ، حتى جاءت مسرحية « تاجر البندقية » فأضافت إليها أبعادا جديدة . ذلك أنه بالرغم من أن شكسبير كتبها فى جو من العداء لليهود أثارته قضية لوبيز ، ولكى تنافس فرقته بها تلك الفرقة التمثيلية التى كانت تقدم مسرحية مارلو بنجاح كبير ، فإنه لا يمكن وصفها بسهولة بأنها مسرحية معادية لليهود . فقد أتاح شكسبير الفرصة أمام شاييلوك لى يبرر تصرفاته ويدافع عنها ، بل وأثار فينا فى بعض المواقف مشاعر التعاطف معه . . قد يكون شكسبير - وقت التفكير فى كتابتها - قد اعتمد السخرية من اليهود وتحقيرهم . غير أنه حين شرع يؤلفها رأى نفسه مدفوعا إلى تصوير آدمى متعدد الأبعاد ، لا مجرد وحش بغض كاسر يلعنه الناس . إستمع إليه يقول :

« سيدى أنطونيو . مرارا وتكرارا عَرتنى فى الريالتو بسبب ثروتى وما أتقاضاه من الربا . ومع ذلك فقد تحمّلت الإهانات فى صبر . فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها . . نعتنى بالكفر ، وبأنى كلب سفاح ، وبصقت على زنى اليهودى ، دون ما سبب غير استهاري لأموال هى ملكى . . حسنا إذن . والآن يبدو وكأنك فى حاجة إلى

مساعدتى . . . دعنى منك ! تأتىنى وتقول : « شاييلوك ، نريد مالا » . تقول لى هذا وأنت الذى بصقت لعابك على لحيتى ، ورفستنى رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك . . . تريد مالا . . . فما عسأى أن أقوله لك ؟ أليس من واجبى أن أقول : « وهل للكلب مال ؟ أيعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية ؟ » ، أم أن على أن أنحنى لك ، وأن أهمس كالعبد الذليل وبأنفاس مقطعة : « سيدى الكريم ، قد بصقت علىّ يوم الأربعاء الماضى ، وركلتنى فى اليوم الفلانى ، ونعتنى بالكلب تارة أخرى ، ومن أجل كل هذا التعطف منك سأقرضك مالا كثيرا ؟ »

كل هذا دون أن يتعرض شكسير للإجابة على التساؤل الأزلّى عما إذا كان الاضطهاد الذى يتعرض اليهودى له هو الذى جعله شريفاً حقوداً ، أو أن طباعه الشريرة هى السبب فى اضطهاد الناس له .

أما الموقف الواضح لدى شكسير فهو الخاص بالربا . فاليهودى لا يكره التاجر أنطونيو لأنه مسيحى فحسب ، وإنما أيضاً لأنه « يقرض المال بدون فوائد ، فيقلل مما نجنيه من الربا هنا فى البندقية » . . . وقد كان الجدال مستعراً فى انجلترا وقت شكسير حول مزاي وعيوب الربا ، وهو إقراض المال بغرض الكسب . وكان الرأى الشائع هو أن الربا شر عظيم ، غير أن البعض قالوا بشرعيته مع ضرورة مراقبته . فإن كانت الكتب المقدسة تحرمه ، فقد جاء كلفن وغيره من رجال الدين يقرّون بضرورته فى المجتمع الحديث ، وكتب فرانسيس بيكون مقالا عنه يصفه فيه بأنه حتمى « لا يمكن تجنبه » ، فى حين وصفته القوانين الإنجليزية بأنه خطيئة ينبغى قمعها وإن سمحت به على ألا تتجاوز قيمة الفائدة ١٠٪ من أصل القرض . وقد كانت ثمة ضرورة ملحة لدى الكثيرين فى ذلك العصر إلى الاقتراض من الغير ، وكان الأكابر من أمثال سيدنى وإيسيكس وليستر وساوثامبتون ، بل وحتى الملكة إليزابيث ، مضطرين إلى استئانة مبالغ طائلة من البنوك الأوروبية . كما اضطرت فرقة شكسير التمثيلية نفسها إلى اقتراض مبلغ لبناء مسرحها بفوائد أرهقت كاهلها .

ومع وضوح استنكار شكسير للربا ، فقد أتاح لشاييلوك فرصة تبريره وكأنها كان عاقد العزم على ألا تكون الشخصية بأتى حال من الأحوال مسطحة باهتة لا تثير لدى الجمهور غير مشاعر العداء والغضب والكراهية . وقد أفلح بالفعل فى مسعاه ، أو

هكذا يبدو لى . فقد يكون شاييلوك مضحكاً فى دور الأب البخيل ، وقاسياً متوحشاً فى دور المرابى ، غير أنه إنسان يشعر ويتألم ، ويعانى ويصبر ، قوى الشخصية ، معترّز بدينه ، فخور بقومه . . . استمع إليه فى الفصل الثالث يتحدث عن أنطونيو فيقول :

« قد هزأ بخسائرى ، وسخر من أرباحى ، واحترق أمتى ، وأفسد صفقاتى ، وحول عنى أصدقائى ، وأثار علىّ أعدائى . فما دافعه إلى ذلك ؟ أننى يهودى . . . أما لليهودى عينان ؟ أما لليهودى يدان ، وأعضاء وهيئة ، ومدارك وعواطف وأحاسيس ؟ أليس كالمسيحى يأكل من نفس الطعام ، وتؤذيه نفس الأسلحة ، وتصيبه نفس الأمراض ، ويعالجه نفس الدواء ، ويشعر بالدفء فى نفس الصيف ، وبالبرد فى نفس الشتاء ؟ ألا يسيل الدم منا إذا طعتمونا ، ونضحك إذا داعبتمونا ، ونموت إذا سمعتمونا ؟ فإن أنتم أسأتم إلينا ، أفما من حقنا أن ننتقم ؟ فإن كنا مثلكم فى كل ما ذكرت ، فسنكون مثلكم فى هذا الصدد أيضاً . إذ ما جزاء اليهودى إن هو أساء إلى مسيحى ؟ الثأر . وما هو بالتالى جزاء المسيحى إن هو أساء إلى يهودى ؟ هو الثأر أيضاً ! وستشهدون منى الغلظة التى تعلّمتها منكم ، بل وأشدّ منها إن لم يحل بينى وبينها حائل » .

(٤)

لقد سبقت أمامنا نقائص شاييلوك واحدة إثر أخرى وسلّط الضوء عليها . أما نقائص خصومه من المسيحيين الذين يبدو المؤلف متعاطفاً معهم فإنه يمرّ عليها مرّ الكرام . فأنطونيو الذى يصفه أصدقائه ومعارفه بأنه أطيب الناس قلباً ، يسبّ اليهودى ، ويصفه بالكلب السفاح ، ويركله بقدمه وكأنه كلب ضال ، ويصق على زية اليهودى ، ثم يقول له وهو يسعى إلى اقتراض مبلغ من المال منه : « وما أحسب إلا أنى سأنتكك بهذا مرة أخرى ، وأبصق عليك مرة أخرى ، وأركلك أيضاً بقدمى . . . فإن أنت أقرضتنى المال فلا تقرضه لى إقراض الصديق للصديق . . . ولكن

أقرضه لى إقراضك لعدو » . وأما صديقه المفلس بسانيو ، فهو حين يطلب قرضًا جديدًا من أنطونيو حتى يتقدم لخطبة الوارثة الغنية بورشيا ، لا يتحرج من أن يخبره بأن زواجه منها سيمكّنه من سداد الديون القديمة والجديدة معًا ، (من مال زوجته بطبيعة الحال) . وأما صديقهما لورينزو فإنه حين يأتي إلى دار اليهودى ليهرب مع ابنته جيسيكّا ليتزوج منها ، لا يجد أدنى حرج من أن يتلقف منها علبة تحبّه جيسيكّا صراحة بأنها تحوى أموالاً وحليًا سرقتهما من أبيها !

غير أن شكسبير يسعده دائمًا مزج الفضائل بالنقائص حتى تأتى شخصياته أكثر واقعية وإنسانية وأبعادًا . . . وثمة مزج آخر قد أتقنه ، هو مزجه لقصص مختلفة لا صلة تربط بين موضوعاتها في قصة واحدة متسقة منسجمة . . . فقد يتساءل القارئ هنا عن صلة قصة الصناديق الثلاثة التى تستغرق أربعة مشاهد من المسرحية بقصة رطل اللحم الذى يطالب به شايلوك . غير أنه يمكن للمدافعين عن هذا المزج أن يردّوا بالقول إنه بالرغم من أن شكسبير استقى القصتين من مصدرين مختلفين ، فقد نجح فى خلق صلة عضوية بينهما . فالموضوع الرئيسى فى المسرحية هو الأخذ والعطاء ، وأن الإنسان إن وهب الكثير نال الكثير ، أو على حدّ تعبير المسيح : « من عنده سيعطى ، ومن ليس عنده سيؤخذ منه » . والعطاء السخى دون تفكير فى مقابل هو أجمل ما فى هذه الحياة من قيم ، وهى القيم التى تمثلها الصناديق الثلاثة : الذهبى والفضى والرصاصى . وسيتوقف الفوز بنعيم الدنيا على طبيعة تكوين الشخص التى ستهديه إلى اختيار القيمة المثل .

ويتصل بموضوع الأخذ والعطاء موضوع القانون والرحمة . فحين تقف بورشيا وجهها لوجه أمام شايلوك فى مشهد المحاكمة ، نشهد الرحمة فى مواجهة القانون ، والسخاء فى مواجهة حب التملك ، والحب الذى هو على استعداد للمخاطرة بكل شىء فى سبيل المحبوب فى مواجهة المطالب بأن ينال ما يستحق ، والعهد الجديد من الكتاب المقدس فى مواجهة العهد القديم . . . وقد وصف أحد النقاد مسرحية « تاجر البندقية » بأنها « أقوى ما كتب فى الأدب العالمى فى مضمار السخرية بالقانون والمحاكم » . فهى ترمى إلى الإيحاء بأن من تمسك بالقانون أهلكه القانون ، ولابد لمن يظل دومًا يطالب بتطبيق العدالة من أن يضطر فى النهاية إلى الركوع طالبًا الرحمة التى

هى فوق كل قانون أو عدالة . . . استمع إلى بورشيا خلال مرافعتها تقول فى وصف الرحمة :

« هى تهبط من السماء كالرذاذ على ما تحتها . وهى تبارك الطرفين معًا : من كان مصدرها ومن كان موضعها . وهى تبدو فى أقوى صورها فى أقوى الناس ، فتزين الملك على عرشه أكثر مما يزينه تاجه . قد يكون صولجانه رمزًا لسلطته الدنيوية ولمهابته وجلالته ؛ فهو مصدر خشية الناس وخوفهم من الملوك . أما الرحمة فأعلى شأنًا من التاج والصولجان . إنها تجلس على عرش قلب الملك . وهى من صفات الله نفسه ، مما يجعل فى السلطة الدنيوية شهبًا بقدرة الله حين تجلّل الرحمة العدالة . . . وحيث أنك أيها اليهودى تطالب بتحقيق العدالة ، فإنى أريدك أن تتدبّر هذه الحقيقة : وهى أننا إن التزمنا بالعدالة وحدها فلن يُكتب لأحد منا الخلاص . إننا فى دعائنا نطلب لأنفسنا الرحمة . وهذا الدعاء ذاته يعلمنا واجب الإشفاق على الآخرين » .

* * *

وقد أخطأ المخرجون فى الماضى بحذفهم الفصل الخامس بأسره من عرضهم للمسرحية ، ظنا منهم أنه لا يضيف جديدًا بعد مشهد المحاكمة ، بل ويضعف من تأثير ذلك المشهد القوى . وهو فهم قاصر للمسرحية كلها ولغرض شكسبير منها . فالفصل الخامس هو فى الحقيقة تنويع للمسرحية بأسرها ، إذ نرى فى مطلع اجتماع لورينزو المسيحى بجيسيكّا اليهودية ، (أو العهد الجديد بالقديم) . ففى أى موضوع نسמעها يتحداثان وقد جمع الحب بينهما ؟ فى فن الموسيقى ، وهو الفن الذى نراه دائمًا عند شكسبير يرمز إلى الانسجام فى عالمنا هذا .

يقول لورينزو :

« لنجلس هنا ، وندع نغمات الموسيقى تداعب آذاننا . . . مثل هذا الانسجام تعرفه الأرواح الخالدة ، فإن أطبقت عليها أجسادنا الفانية الغليظة المخلوقة من طين ، سلبتنا القدرة على سماعه . . . يكفى أن تلاحظى قطيعا من الحيوانات البرية الهائمة ، أو جنسا من الخيول الصغيرة التى لم يركبها بشر ، تقفز كالمجنونة وتسهل صهيلًا يصم الأذان وقد هاجت الحرارة الغريزية فى دماغها . حتى إذا ما سمعت

صوت بوق ، أو وصلت إلى آذانها أنغام من الموسيقى ، رأيتها وقد توقفت جميعها في آن واحد ، وتحولت النظرة الشرسة في عيونها إلى نظرة وديعة ، بفعل سحر الموسيقى . لذلك ذهب الشاعر (أوفيد) إلى أن أورفيوس كان يجذب إليه الأشجار والحجارة وسيول المال ، حيث أنه ما من شيء مهما بلغت غلظته وصلابته وشدته إلا أفلحت الموسيقى في تغيير طبيعته إلى حين . والإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الانسجام في الأنغام العذبة ، خليق بالخيانة والمكر والنهب ، ظلام روحه في مثل ظلام الليل ، ولا يجدر بأحد أن يأتمنه ! »

وعند شكسبير يمثل شايلوك ذلك الإنسان الذى تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الأنسجام في الأنغام العذبة ، قد لقي شر جزاء من جراء تمسكه بالقانون دون مشاعر الرحمة ، وبالعقل والمنطق والقوة دون الصداقة والحب . أما أولئك الذين كانوا دائماً على استعداد للتضحية بكل ما يملكون ، بل وبحياتهم نفسها في سبيل الآخرين ، فيجمعهم الفصل الأخير وقد فازوا بكل شيء ، وتحققت سعادتهم على أكمل وجه .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة في ١٨ إبريل ١٩٩٤

شخصيات المسرحية

دوق البندقية	
أمير مزاكش	[
أمير أراجون	
أنطونيو	
بسانيو	
جراشيانو	[
ساليريو	
سولانيو	
لورينزو	
شايلوك	
طوبال	
لانسلوت جوتو	
جوتو العجوز	
ليوناردو	
عاشق جيسिका	
يهودى	
يهودى وصديق لشايلوك	
قروى وخادم لشايلوك	
والد لانسلوت	
خادم بسانيو	
خاطبان لبورشيا	
من تجار البندقية	
صديق لأنطونيو ، وخاطب لبورشيا	
من أصدقاء أنطونيو و بسانيو	

بالتأازر
ستيفانو

خادمان لبورشيا

بورشيا وارثة ، من مدينة بلمونت

نيريسا وصيفة بورشيا

جيسيكا ابنة شايلوك

نبلاء من البندقية - موظفون بالمحكمة - سجان - خدم وأتباع آخرون .

مشاهد المسرحية

الفصل الأول :

المشهد الأول : البندقية

المشهد الثاني : بلمونت

المشهد الثالث : البندقية

الفصل الثاني :

المشهد الأول : بلمونت

المشهد الثاني : البندقية

المشهد الثالث : البندقية

المشهد الرابع : البندقية

المشهد الخامس : البندقية - أمام دار شايلوك

المشهد السادس : نفس المنظر السابق

المشهد السابع : بلمونت

المشهد الثامن : البندقية

المشهد التاسع : بلمونت

الفصل الثالث :

المشهد الأول : البندقية

تدور أحداث المسرحية في البندقية ، وفي دار بورشيا بمدينة بلمونت .

المشهد الثاني : بلمونت

المشهد الثالث : البندقية

المشهد الرابع : بلمونت

المشهد الخامس : بلمونت

الفصل الرابع :

المشهد الأول : البندقية - محكمة

المشهد الثاني : البندقية

الفصل الخامس :

المشهد الأول : بلمونت - بستان أمام دار بورشيا

الفصل الأول

الفصل الأول

المشهد الأول

البندقية

(يدخل أنطونيو ، ساليريو ، وسولانيو)

أنطونيو : صدّقاني حين أقول إنه لا علم لي بسبب هذا الحزن الذي ألمّ بي . . إنه حزن يُضنيّني ، وأنتم تقولان إنه يُضنيكما . غير أنني لا زلتُ أجهل كيف انتقلت إلّ عدواه ، أو كيف صادفته أو التقيتُ به ، جهلى بباهيته ومصدره . وقد أطار الهمّ لُبّي حتى غدا من الصعب علّي أن أفهم نفسي .

ساليريو : كل ما هناك هو أن ذهنك يتأرجح على أمواج المحيط ، حيث تمخرُ سفن بضائعك بأشرعتها المهيبة ، وتسير فوق الماء سَيْرَ النبلاء والمواطنين الأثرياء فوق الأرض ، أو سَيْرَ سفن المهرجانات الضخمة التي تتطلّع من على إلى المراكب الصغيرة بالقرب منها ، وتخلّفها وراءها وكأنها تطير طيرا بأجنحتها المنسوجة ، بينما تُحنى لها تلك المراكب هامتها تعبيراً عن احترامها .

سولانيو : صدقني ياسيدي ، لو أني خاطرتُ مثلك بإرسال سفني وبضائعي إلى عرض البحر ، لا نحصر جُلّ اهتمامي فيها عقده من آمال خارج بلدي ، وَلَظَلَلْتُ أقتلع الأعشاب حتى تنبني بمسرى الريح ، وأدرس الخرائط باحثاً عن الموانئ والأرصّة والطرق ، ولأحزني دون أدنى شك كل ما قد يثير مخاوفي من أن يلحق بتجارتى شرّ .

ساليرو : ولأصابتني أنا القشعريرة كلما نفختُ على حسائي لأبردّه ، فيذكرني نفخي بالضرر الذى يمكن للريح العاصفة أن تُحدثه فى البحر . فإن نظرتُ إلى الرمل يجرى فى الساعة الرملية فكّرت فى المياه الضحلة ، وتصوّرت سفيتى المحمّلة - كالسفينة أندرو^(١) - بثمانين البضائع ، وقد غرست فى الرمال ، وانحنى صاربيها العالى إلى ما دون أضلاعها لتقبّل قبرها . وإن توجّهتُ إلى الكنيسة ورأيت بناءها الحجريّ المقدس ، خطرت على التوّ فى بالى صورة الصخور الخطرة التى ما تمسّ جانب سفيتى الرقيقة حتى تتبعثر كافة التوابل فيها على سطح البحر ، وتتخذ الأمواج الصاخبة من أقمشتى الحريية رداء لها ، وأتحوّل - باختصار شديد ، وفى مثل ملح البصر - من إنسان ترى إلى رجل لا يملك شيئاً . فإن كان بالوسع أن أفكر فى هذا ، فبالوسع أيضاً أن أتصوّر أن يكون تحقّق هذه المخاوف كفيلاً بأن يحزننى . . فلا تجادلانى إذن : فأنا واثق من أن سرّ حزن أنطونيو هو قلقه على تجارته .

أنطونيو : صدقنى حين أنكر هذا . فمن حسن حظى أنى لم أودع كل ثروتى فى سفينة واحدة ، ولا وجّهتها إلى مكان واحد ، بل ولا هى مرتبطة بأسرها بمصير تجارتي هذا العام وحده . ولهذا فإنه ليس صحيحاً أن مصدر حزنى هو القلق على تجارتي .

سولانيو : فأنت عاشقٌ إذن .

أنطونيو : محض هراء .

سولانيو : لا القلق على التجارة ولا العشق ؟ فلنقل إذن إنك حزين لأنك غير سعيد ، تماماً كما نقول لو أنّا رأيناك تضحك وتقفز فى الهواء إنك سعيد لأنك غير حزين . . فبحقّ الإله يانوس ذى الوجهين^(٢) ، لقد خلقت

(١) السفينة أندرو (أو سان أندريز) سفينة أسبانية ضخمة استولى عليها الإنجليز فى يونيو ١٥٩٦ ، أثناء هجوم مفاجئ لهم على ميناء قادس .

(٢) يانوس : أحد كبار الآلهة فى الميثولوجيا الرومانية ، ومن اسمه اشتقت تسمية الشهر الأول من =

الطبيعة فى مسارها أناساً غريبى الأطوار ؛ بعضهم يظل دوماً يتطلّع إلى الزّمار وقد ضيّقَ من أعينهم الضحك ، فيقهقه قهقهة الببغاء ، وبعضهم ذو سحنة كئيبة لا يفتّر وجهه عن ابتسامة تُرينا أسنانه ولو أقسم له نستور^(١) أن النكتة ظريفة .

(يدخل بسانيو ، ولورينزو ، وجراشيانو)

ها هو قريبك النبيل بسانيو ومعه جراشيانو ولورينزو . . وداعاً إذن ، ونتركك الآن مع صحبة أفضل .

ساليرو : كنت أودّ لو بقيت معك حتى أبدد حزنك ، لولا وصول هؤلاء الأصدقاء الأكثر جدارة منى .

أنطونيو : جدارتك عظيمة عندى . غير أنى أدرك أن شئونكم الخاصة تدعو كما إليها ، فانتهزتما الفرصة للانصراف .

ساليرو : صباح الخير ياسادة .

بسانيو : متى نلتقى ثانية أيها السيدان فلنهو ونضحك ؟ لابد من تحديدكم الموعد ، فقد صرتما كالغريبيين ، وهو ما لا أجد مبرراً له .

ساليرو : سنحاول التوفيق بين أوقات فراغنا وأوقات فراغكم .

(يخرج ساليرو وسولانيو)

لورينزو : والآن ياسيدى بسانيو ، حيث أنك قد عثرت على أنطونيو فسنترككما . غير أنى أمل أن تتذكر مكان تلاقينا وقت العشاء .

بسانيو : لن أخلّف عن لقاءكما .

= شهور السنة (يناير) . وتصوّره التناثيل رجلاً ملتجياً ذا وجهين يتطلّعان إلى جهتين متقابلتين : وجه باسم وجهه عابس . وهما وجهان يمثلان عند شكسبير الملهاة والمأساة .

(١) نستور : من شخصيات ملحمة « الإلياذة » ، صوّره هوميروس فيها رجلاً مسناً مهيباً شديد الوقار ، غزير الحكمة .

جراشيانو : لا تبدو صحتك على ما يرام ياسيد أنطونيو . . فأنت تأخذ الدنيا على حمل الجد أكثر مما ينبغي ، ومن يشغل باله بها لم يجنِ مُتَعَهَا . . صدقنى ، لقد طرأ عليك تغير رهيب .

أنطونيو : إنما آخذ الدنيا يا جراشيانو كما ينبغي أن تؤخذ الدنيا : باعتبارها مسرحا يلعب عليه كل إنسان دوره ، ودورى فيها هو دور رجل حزين .

جراشيانو : إذن لى إذن بأن أَلعب دور المهرج . فلتصبنى تجاعيد الشيخوخة ، ولكن بفضل اللهو والضحك . فإنى لأفضل أن يتأثر كبدى بحرارة النبذ على أن تبرّد قلبى تنهّدات الأسى . إذ ما الذى يدعو إنساناً يجرى الدم دافئاً فى عروقه إلى الجلوس جلسة تمثال من الرخام لأحد أجداده ، وإلى النوم فى حال اليقظة ، والسباح لداء الصفراء بأن يصيبه من جرّاء اكتسابه ؟ إسمعنى يا أنطونيو . إنى أحبك . وحبى لك هو ما يدفعنى إلى أن أقول ما سأقوله : ثمة صنف من الناس تعلقو الجهماء وجوههم كما يعلو الزبد سطح البركة الراكدة ، ويصرون على التزام الصمت حتى ينسب الناس إليهم الحكمة والوقار والفكر العميق ، ولسان حال الفرد منهم يقول : « إنما أنا الوحي الإلهى ، فإن فتحت فمى للكلام فلتحجم الكلاب عن النباح ! » . . . آه يا أنطونيو ! إنى لأعرف أناساً لم يشتهروا بالحكمة إلا لامتناعهم عن الحديث . وإنى لكأذواق من أنهم لو تكلموا لَنَعَتَهُم مستمعوهم بالغباء . . سأؤجل المزيد من حديثى هذا إلى وقت آخر . ولكنى أناشدك ألا تستخدم حزنك هذا فى إحراز هذه السمعة سهلة الصيد . . . هيا يالورينزو ، وتمنياتى الطيبة حتى نلتقى ، فأختم مناشدتى لك بعد العشاء .

لورينزو : نترككما إذن إلى وقت العشاء . . لابد أنى أحد هؤلاء الحكماء الصامتين حيث أن جراشيانو لا يترك لى فرصة للحديث !

جراشيانو : ولو صحبتنى عامين آخرين لنسيت وقع صوتك !

أنطونيو : إلى الملتقى . وسأعدو ثرثاراً بفضل حديثك .

جراتيانو : شكراً جزيلاً . فالصمت لا يُحمد إلا من لسان يؤكل ، أو امرأة عانس !

(يخرج جراشيانو ولورينزو)

أنطونيو : أفى قوله هذا غير الهراء ؟

بسانيو : حديث جراشيانو يحوى دائماً قدراً لا نهاية له من الهراء لا يداينه فيه أى رجل فى البندقية بأسرها . فأما ما قد يحويه كلامه من معان فأشبهه بحبتين من القمح فى جوالين من الثبن ، تبحث عنها طيلة اليوم حتى تجدهما ، فإن وجدتهما تبيّن لك أنها لا تستأهلان البحث عنها !

أنطونيو : حسنا . فلتخبرنى الآن عن السيدة التى تعترم الحج إليها سرا ، والتى وعدتني اليوم بالحديث لى فى شأنها .

بسانيو : لا يخفى عليك يا أنطونيو أننى بددت معظم ثروتى بالتبذير على نمط معيشة لا تسمح باستمراره مواردى المحدودة . . ولا أشكو الآن من اضطرارى إلى تخفيض إنفاقى الضخم ، وإنما أجد شاغلى الأكبر هو كيف أخلّص نفسى ، وبأسلوب شريف ، من الديون الباهظة التى لا تزال تثقلنى بسبب إسرافى فيما مضى . . فأما معظم ديونى - ومعظم مودتى أيضاً - فأنا مدين بها لك يا أنطونيو . ومودتك تسمح لى بأن أكشف لك عن كل خططى ونواياى بصدد كيفية تسديد كافة ديونى .

أنطونيو : أناشدك يابسانيو أن تحيطنى علماً بها . فإن كان طابعها الشرف شأن صاحبها دائماً ، فلتقت فى أن جيبى ، وشخصى ، وأقصى جهدى ، ستكون رهن إشارتك .

بسانيو : كنت وأنا بعد طالباً إذا رميتُ بسهم ثم لم أعثر عليه ، أطلق سهماً مثله فى نفس الاتجاه ، وأراقبه مراقبة أدق حتى أعرف مكان الآخر ، فإذا غا طرقتى بالإثنين تؤدى إلى عثورى على الإثنين . فإن كنت أذكر هذه الخبرة من خبرات الطفولة ، فما ذاك إلا لأن ما سأقوله الآن يتسم بنفس السذاجة

البريئة . . إننى مدين لك بالكثير . وهذا الكثير قد أضعته بسبب نزق الشباب . غير أنك إن تفضلت بتصويب سهم آخر فى نفس الاتجاه الذى صوّبت فيه سهمك الأول ، فلاشك عندى فى أنى ، إذ أرصد الهدف بعناية ، إما سأعثر على السهمين معاً ، أو سأردّ الثانى إليك وأظل مدينًا لك بالأول مع اعترافى بفضلك .

أنطونيو : أنت تعرفنى جيدًا . ومع ذلك فهنا أنت تضيّع وقتك باللف والدوران حول مودتى ، وتسىّ إلى بتشكّكك فى أنى سأبذل كل ما فى وسعى لمساعدتك ، أكثر مما تسيّ إلى لو أنك بدّدت ثروتى بأكملها . . فلتقتصر على ذكر ما ينبغى على أن أفعله ، وما ترى أن بإمكانى تقديمه ، وسأقدّمه لك . لتقل إذن .

بسانيو : فى مدينة بلمونت سيدة ورثت ثروة طائلة . . هى جميلة ، بل أجمل من كلمة « الجمال » ذاتها ، وتحلّى بشائى خلاّبة . . تلقّيتُ فيها مضى من عينيها رسائل صامتة . فأما اسمها فيورشيا ، علما بأنها لا تقل فى القدر عن بورشيا ابنة كاتو وزوجة بروتس . . العالم بأسره يعرف قدرها هذا ؛ فالرياح الأربع تأتى إليها من كافة الشّطنان بخُطّاب مرموقين . وأما غداؤها الشّقاء فتتهذّل على جانبى وجهها كالجُزّة الذهبية ، مما جعل مقرّها فى بلمونت بمثابة ساحل كولشيس يتردّد عليه الكثيرون من أمثال ياسون فى طلبها^(١) . . آه يا أنطونيو ! ثمة إحساس قوى لدىّ بأننى لو كنت أملك من المال ما يضمن لى مكانا بين هؤلاء المتنافسين عليها ، لكتب لى النجاح ، ولكنّ دون شك فى عداد المحظوظين .

أنطونيو : أنت تعلم أن ثروتى بأسرها هى الآن فى البحر ، وما عندى الآن من المال

(١) ياسون : هو فى الأسطورة الإغريقية قائد فريق من أبطال اليونان أقبلوا فى السفينة « أرجو » لاستعادة الجُزّة الذهبية من ساحل كولشيس على البحر الأسود ، ونجحت مهمتهم بفضل مساعدة ميديا أميرة كولشيس لهم ضد أبيها .

أو السلع ما يكفى لتوفير المبلغ المطلوب . فامض إذن ، وحاول أن تحصل فى البندقية على أكبر قرض ممكن بضمانتى ، حتى تهبّ نفسك للتوجّه إلى بورشيا الحسنة فى بلمونت . . امض لتوكّ للاستفسار ، وهو ما سأفعله أنا أيضًا . ولاشك عندى فى أننا سنحصل على القرض ، إما بفضل ضمانتى أو ما يكتّنه لى البعض من الودّ .

يقفزان فوق حبال النصائح الحكيمة التى ينصبها الشيوخ الكسيحون .
بيد أن مثل هذه النصائح لن تساعدنى على اختيار زوج لى . ربّاه ! ما
أثقل كلمة « الاختيار » على قلبى ! فلا أنا حرّة فى اختيار من رضىته
لنفسى ، ولا فى رفض من لا أطيقه . إذ هكذا باتت إرادة فتاة على قيد
الحياة خاضعة لإرادة أبيها المتوفى . . ألا ترين معى يانيريسا أنه من المؤلم
حقاً أن أحرم من حق اختيار من أريد قبوله ، أو رفض من أريد رفضه ؟

المشهد الثانى

بلمونت

(تدخل بورشيا مع وصيفتها نيريسا)

نيريسا : قد كان أبوك دوماً رجلاً فاضلاً . والفضلاء ساعة احتضارهم ينير الإلهام
بصائرهم . ولذا فإنه لاشك فى أن القرعة التى ابتدعها فى هذه الصناديق
الثلاثة من الذهب والفضة والرصاص ، بحيث ينالك زوجة له من يقع
اختياره على صندوق معين ، لن ينجح بصدها إلا من يحبك حباً
حقيقياً . . ولكن ، خبرينى عن حقيقة مشاعرك تجاه أولئك الأمراء الذين
وصلوا بالفعل إلى بابك يطلبون يدك .

بورشيا : أذكرى لى أساءهم واحداً إثر واحد فأصفه لك ، ومن وصفى له سيكون
بوسعك أن تخمنى مشاعرى نحوه .

نيريسا : هناك أولاً ذلك الأمير من نابولى .

بورشيا : أجل . ذلك الذى لا يُفْضَلُ عقله فى واقع الأمر عقل المهر الصغير . فهو
لا يتكلم إلا عن حصانه ، ويحسب من أعظم فضائله قدرته على تركيب
حدوة له بنفسه ، حتى لكانها حملت به السيدة والدته من حداد .

نيريسا : وهناك الأمير الإقطاعى .

بورشيا : لا يعرف وجهه غير العبوس ، فكأنها لسان حاله يقول : « إن لم تختارينى
فلا يهمنى أى إنسان تختارين » . . يسمع النكات فلا يبتسم ، ولو طال
به العمر لأضحى كالفيلسوف الباكي^(١) ما دام قد اختار فى شبابه الحزن

بورشيا : صدقنى يانيريسا ، لقد أضحى جسمى الضئيل ضجراً بهذا العالم الكبير .

نيريسا : أصدّقك ياسيدتى الرقيقة لو أن دواعى بؤسك كانت فى كثرة دواعى
سعادتك . غير أن التجربة علّمتنى أن التّخمة قد تصيب صاحبها بألم لا
يقبل حدّة عن الألم الذى يصيب الجائع . ولذا فإنه من البين أن المرء يكون
فى أسعد أحواله إن كان بين بين . فإن كان الثراء الفاحش يعجّل بمقدم
الشيخوخة ، فإن التوسّط بين الثراء والفقر يطيل الأعمار .

بورشيا : حكّم جميلةً أحسنّت التعبير عنها .

نيريسا : هى أحسن لو التزم بعض الناس بها .

بورشيا : لو كان صنّع الخير فى سهولة معرفة الخير لكان المصلّى الصغير بمثابة
الكنيسة الضخمة ، وأكواخ المساكين فى مصاف قصور الأمراء . .
صحيح أن خير الوعّاظ من ألزم نفسه بمواعظه ، غير أنى أجد من
الأسهل على أن أبين لعشرين شخصاً سبيل الخير ، من أن أكون واحداً من
هؤلاء العشرين فأسير فى السبيل الذى نصحتهم بانتهاجه . . قد يسنّ
العقل القوانين للدم ، غير أن المزاج الحامى يقفز فيتخطى القانون البارد ،
كما يفعل الأرنب الجبلى فى الربيع ، والشباب الطائش فى ربيع العمر ، إذ

(١) هو الفيلسوف الإغريقى هرقلطس الإفسوسى .

الذى لا يناسب سنّه . . إنى لأفّضل أن أتزوج من جمجمة فى فمها عظم
على أن أقترن بأى من هذين الرجلين ، وقانى الله شرهما .

نيريسا : فما قولك فى النبيل الفرنسى ، مسيو لوبيون ؟

بورشيا : ما دام من خلق الله فلا بدّ أن نفترض أنه إنسان . . أنا أعلم أن السخرية
رذيلة . غير أن هذا الرجل . . آخ ! لديه حصان أفضل من حصان أمير
نابولى ، ووجه أشدّ عبوسا من وجه الأمير الإقطاعى . . هو كل الرجال
دون أن يكون رجلاً بعينه . إن صدح الطير بالغناء شرع لتوّه يرقص ، وإن
لمح ظلّه شهر سيفه ليبارزه . . ولو أنى تزوجته لظننت أن لى عشرين
زوجاً . إن احتقرنى غفرت له احتقاره ، غير أنه إن هام بحبى لما كان
بمقدورى أن أبادله حبّاً بحب .

نيريسا : فما قولك فى البارون الإنجليزى الشاب فالكونبريدج ؟

بورشيا : تعلمين أنى لا أكلّمه لأنه لا يفهم لغتى ولا أفهم لغته . فهو لا يتحدث
اللاتينية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وبوسعك أن تقسمى فى المحكمة وأنت
آمنة أن إنجليزيتى لا قدر لها ولا قيمة . . مظهره لا غبار عليه ، غير أنه
ما من أحد ، للأسف ، بمقدوره أن يحدث دمية . . ما أغربه من زى
يرتديه ! أحسبه قد اشترى سترته الضيقة من إيطاليا ، وسرواله المنتفخ من
فرنسا ، وقبعته من ألمانيا ، واقتبس سلوكه من كل مكان .

نيريسا : فما رأيك فى جاره اللورد الاسكتلندى ؟

بورشيا : أراه باراً بجاره ، فقد تفضّل عليه الإنجليزى بلكمة على أذنه ، فأقسم
الاسكتلندى أن يردّ إليه الجميل متى استطاع إلى ذلك سبيلاً . وأظن أن
الفرنسى تلقى من الإنجليزى لكمة مماثلة ، فما فعل غير أن تعهّد بردها
إليه .

نيريسا : وما فكرتك عن الشاب الألماني ، ابن شقيق دوق سكسونيا ؟

بورشيا : فكرتى عنه أنه فظيع فى الصباح قبل أن يسكر ، وفضيع جدّاً وقت العصر
حين يسكر . هو فى خير حالاته أقل من إنسان ، وفى شر حالاته شبيه

بالحيوان . وإنى لأمل مهما تأزّمت الأمور معى أن أتمكن من أن أنجو
بنفسى من برائته .

نيريسا : لو أنه رضى بالاختيار بين الصناديق ، واختار الصندوق الصحيح ، لكان
رفضك إياه رفضاً لتنفيذ وصية أهلك .

بورشيا : ولهذا السبب ، وخشية أن يقع المحذور ، أناشدك أن تضعى كأساً مترعة
من نبيذ الراين فوق صندوق خاسر . فأنا واثقة من أنه لو كان الشيطان
داخل الصندوق ، وإغراء النبيذ خارجه ، لاختار النبيذ . وإنى لعلى
استعداد يانيريسا أن أقدم على أية فعلة غير الزواج من إسفنجة .

نيريسا : ليطمئن بالك ياسيدى فلن تضطرى إلى الزواج بأى من هؤلاء النبلاء . لقد
أحاطونى علماً بنواياهم ، وهى أن يعودوا إلى أوطانهم ، وألا يزججوك
بمزيد من الإلحاح ، ما لم يكن ثمة سبيل إلى نيلك غير السبيل الذى فرضه
والدك ، وهو الاختيار بين الصناديق .

بورشيا : لو أنى عشتُ حتى بلغت سن سيببلا^(١) ، لفصّلت أن أموت وأنا فى عفة
ديانا^(٢) على أن أرتضى لنفسى زوجاً على غير الطريقة التى أوصى بها
أبى . . إنى لسعيدة إذ أرى هذا الجمع من الخطّاب على هذا القدر من
التعقل ، إذ ليس من بينهم إلا من سيهجنى رحيله . وسأدعو الله لهم
برحلة آمنة .

نيريسا : هل تذكرين ياسيدتى رجلاً من البندقية ، هو عالم وجندى فى آن واحد ،
زارنا أيام كان أبوك حيّاً فى رفقة الماركيز مونتيفيرا ؟

بورشيا : أجل ، أجل . إنه بسانيو ! . . أو هكذا أظنه كان يُدعى .

نيريسا : بالضبط ياسيدتى . إنه من بين كل الرجال الذين رأتهم نيريسا الحمقاء
أجدر القوم بسيدة عظيمة .

(١) سيببلا : هى فى الأساطير اللاتينية نبيّة وعدها الإله أبولو بحياة فى طول عدد ذرات الرمل فى
قبضة يدها .

(٢) ديانا : إلهة العفة فى الأساطير اللاتينية ، وتقابلها أرتيميس فى الأساطير الإغريقية .

الفصل الأول

بورشيا : أذكره جيدًا ، وأذكره جيدًا بمدحك .
(يدخل خادم)

ما الخبر ؟

الخادم : الغرباء الأربعة يامولاتى يلتمسون مقابلتك لتوديعك . وقد وصل رسول من شخص خامس هو أمير مراكش ، يقول إن مولاة الأمير سيصل الليلة إلى هنا .

بورشيا : لو كان بوسعى أن أرحب بالخامس وأنا في مثل فرحى بتوديع الأربعة الآخرين ، لأسعدنى مقدمه . أما إن كانت له طباع القديسين وملاحح الشياطين ، فإننى لأفضل أن يكون القسّ الذى أعترف له ، على أن يكون الشخص الذى سأقترن به . . هيا بنا يانيريسا ، ولتمض أنت أماننا . .
لا نكاد نودّع خاطبًا إلا جاء آخر يقرع بابنا !
(يخرجون)

المشهد الثالث

البندقيّة

(يدخل بسانيو وشايلوك اليهودى)

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية ^(١) ؟ هممم .

بسانيو : أجل ياسيدى . ولمدة ثلاثة أشهر .

شايلوك : لمدة ثلاثة أشهر . . هممم .

بسانيو : وسيكون أنطونيو كما أخبرتك ضامن سدادها .

شايلوك : وأنطونيو ضامن سدادها . . هممم .

بسانيو : أبؤشعك مساعدتى وإرضاء خاطرى ؟ ما قولك ؟

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية ، لمدة ثلاثة أشهر ، وأنطونيو ضامن سدادها .

بسانيو : ما ردك ؟

شايلوك : أنطونيو لا بأس به .

بسانيو : أبلغ مسمعك عكس ذلك ؟

شايلوك : لا لا لا لا . أقصد من قولى « لا بأس به » هو أن تفهم أننى أقصد أن

(١) الدوقية : عملة ذهبية فى البندقية . ومعناها الحرق عملة الدوق . وكانت الثلاثة آلاف دوقية تعادل سبعةائة جنيه استرلىنى ، وهو ما كان يعتبر مبلغًا ضخمًا فى ذلك الحين .

ضمانته كافية . . غير أن ثروته افتراضية . فله سفينة تتجه إلى طرابلس الشام ، وأخرى صوب جزر الهند الغربية ، وعلاوة على ذلك فقد عرفت في الريالتو^(١) أن له ثلاثة في المكسيك ، ورابعة تتجه إلى إنجلترا ، وسفنا أخرى بعثها هنا وهناك . غير أن السفن ما هي إلا ألواح ، والبحارة ما هم إلا رجال . وثمة فئران في البر وفئران في البحر ، ولصوص في البحر ولصوص في البر (أعنى القراصنة) . وثمة أيضًا أخطار تتمثل في الأمواج والرياح والصخور . . ومع ذلك فإن الرجل ضمانته كافية . . ثلاثة آلاف دوقية . أظن أنني قد أقبل الصك .

بسانيو : ثق في أن بوسعك قبوله .

شايلوك : الثقة مطلوبة . ولكي تتوفر الثقة سأفكر في الأمر . . هل يمكنني أن أتحدث مع أنطونيو ؟

بسانيو : إن شئت أن تتعشى معنا

شايلوك : نعم ، حتى أشم رائحة الخنزير وأكل من لحم هذا الحيوان الذي أدخل نبيكم الناصريّ الشيطان فيه ^(٢) . . إنني لعلّ استعداد لأن أشتري منكم ، وأبيع لكم ، وأتحدث إليكم ، وأمشي معكم ، إلى آخره ، غير أنني لست على استعداد لأن أكل معكم ، أو أشرب معكم ، أو أصلي معكم . . ولكن ما أخبار الريالتو ؟ ومن ذا القادم صوبنا ؟
(يدخل أنطونيو)

بسانيو : ها هو السيد أنطونيو .

شايلوك : (جانباً) ما أشبهه بالعشّار الدليل ^(٣) ! إنني أكرهه لأنه مسيحي . غير

أنني أكرهه أكثر إذ أراه بسذاجته وتواضعه يُقرض المال بدون فوائد ، فيقلّل مما نجنيه من الرّبا هنا في البندقية . فلو أنني تمكنت من استغلال عشرة واحدة منه ، لنفست عن حقدى القديم عليه . . إنه يكره أمتنا المقدسة ، وحتى هنا ، حيث التجارة في ذروة نشاطها ، أراه يسخر مني ، ومن صفتائي ، ومن مهارتي العريقة في الحصول على ما يدعوه بالربا . فاللعنة على قبيلتي إن أنا غفرت له !

بسانيو : شايلوك ! أسمعني ؟

شايلوك : أفكر في وضعي المالى الراهن . وأظنني - إن لم تخنّي ذاكرتي - غير قادر على أن أوفر لك على الفور مبلغ الثلاثة آلاف دوقية . . غير أن هذا لا يهم . فطوبال ، وهو عبراني ثريّ من قبيلتي ، يمكنه أن يمدّني بالمال . ولكن ، بعدكم شهر تنوى ردّ المبلغ ؟ (لأنطونيو) طاب يومك ياسيدي الكريم . لقد كان اسم فخامتك على لساننا هذه اللحظة .

أنطونيو : رغم أنني ياشايلوك لا أتقاضى ولا أدفع فائدة حين أقترض أو استدين ، فسأحرق القاعدة لأوفر لصديقي احتياجاته الملحة . (لبسانيو) هل أخبرته بالمبلغ الذي تريده ؟

شايلوك : نعم ، نعم . ثلاثة آلاف دوقية .

أنطونيو : ولمدة ثلاثة أشهر .

شايلوك : آه . قد نسيت . ثلاثة أشهر . (لبسانيو) قد أخبرتنى بذلك . حسنًا ، هات صكك إذن ، ودعني أفكر . . ولكن ، إسمع ، أظنك قلت إنك لا تتقاضى ولا تدفع فائدة .

أنطونيو : لا أتعامل مع الفائدة قط .

شايلوك : حين كان يعقوب يرعى غنم خاله لا بان ، وكان يعقوب هذا - بفضل تدخّل أمه الحكيمة - قد أضحى الوريث الثالث لسيدنا إبراهيم ، أجل ، الثالث . . . (١)

(١) سفر التكوين : الإصحاح السابع والعشرون .

(١) الريالتو : بورصة البندقية ، وكانت مبنى ضخماً يجتمع فيه تجار البندقية وأشرافها مرتين في اليوم الواحد .

(٢) نبيكم الناصري : يقصد المسيح ، وهو من بلدة الناصرة . وقد ورد في إنجيل متى (الإصحاح الثامن) أن المسيح أخرج الشياطين من مجنونين ونقلها إلى قطع من الخنازير .

(٣) قصته في إنجيل لوقا (١٨ : ٩ - ١٤) ، وفيها مقارنة بين تواضعه وإحساسه بذنبه ، وبين صلّف الفريسيّ (الشبيه بشايلوك) وافتخاره بصومه وتديّنه . . . والعشّار : جامع الضرائب .

أنطونيو : ماذا عن يعقوب ؟ هل كان يتقاضى فائدة ؟

شايلوك : لا . لم يكن يتقاضى فائدة ، أعنى أنه لم يكن يتقاضاها بصورة مباشرة . . . إسمع ما صنعه يعقوب . . حين اتفق هو ولا بان على أن يكون أجر يعقوب كل ما يولد من خراف رطاء ولبقاء ، ثم حلت نهاية الخريف وحميت شهوة النعاج إلى الكباش ، وبدأت عملية التزاوج بين هذه الخراف ذات الصوف الغزير ، أخذ هذا الراعى الأريب يعقوب قضباناً خُصراً فقشر فيها خطوطاً بيضاء ، وعرضها أثناء عملية التزاوج أمام أعين النعاج القوية فتوَحَّمت عليها ، وتمخضت وقت الولادة عن حملان متعددة الألوان دخلت في ملك يعقوب ^(١) . كذا كان سبيله إلى تنمية ثروته ، وهو الرجل المبارك . فالثروة دون ريب نعمة ، ما لم يسرقها الناس .

أنطونيو : لقد كان يعقوب ياسيدى يعمل ويكدّ في هذا المشروع ^(٢) ، وما كان باستطاعته أن يحقق النتائج التى حققها إلا بفضل الله وإرادته . . فهل رويت لنا القصة من أجل تبرير الفائدة ، أم أن ذهبك وفضتك خراف ونعاج ؟

شايلوك : لا أدرى . غير أنى أجعلها تتوالد وتتكاثر بنفس السرعة . . ولكن ، لتصغ ليّ ياسيدى . . .

أنطونيو : (لبسانيو جانبا) لاحظ يابسانيو كيف أن بوسع الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس لدعم أغراضه . وما الروح الشريرة التى تلوّج باستشهادات دينية إلا كالوغد ذى الابتسامة على خديه ، أو كالتفاحة العفنة ذات المظهر الجميل . . ألا ما أجمل المظهر الخارجى للزور والكذب !

شايلوك : ثلاثة آلاف دوقية . . إنه مبلغ كبير . . ولمدة ثلاثة أشهر من اثنى عشر شهراً . . دعنى أنظر . . وأما الفائدة . .

أنطونيو : أبوسعنا إذن أن نعتمد عليك يا شايلوك ؟

شايلوك : سيدى أنطونيو . مرارا وتكرارا عيّرتنى في الريالتو بسبب ثروتى وما أتقاضاه من الربا . ومع ذلك فقد تحمّلت الإهانات في صبر ، فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها . . نعتنى بالكفر ، وبأنى كلب سفاح ، وبصقت على زبى اليهودى ، دون ما سبب غير استشارى لأموالٍ هى ملكى . . حسنا إذن . والآن يبدو وكأنك في حاجة إلى مساعدتى . . دعنى منك ! تأتىنى وتقول : « شايلوك ، نريد مالا » . تقول لى هذا وأنت الذى بصقت لعابك على لحتى ، ورفستنى رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك . . تريد مالا . فما عساي أن أقوله لك ؟ أليس من واجبى أن أقول : « وهل للكلب مال ؟ أيعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية ؟ » أم أن علىّ أن أنحنى لك ، وأن أهمس كالعبد الدليل وبأنفاس متقطعة : « سيدى الكريم ، قد بصقت علىّ يوم الأربعاء الماضى ، وركلتنى فى اليوم الفلانى ، ونعتنى بالكلب تارة أخرى ، ومن أجل كل هذا التعطّف منك ، سأقرضك مالا كثيرا » ؟

أنطونيو : وما أحسب إلا أنى سأنعتك بهذا مرة أخرى ، وأبصق عليك مرة أخرى ، وأركلك أيضا بقدمى . . فإن أنت أقرضتنى المال فلا تقرضه لى إقراض الصديق للصديق . إذ متى كان الصديق يطالب صديقه بسلالة معدن عقيم ؟ ^(١) ولكن أقرضها لى إقراضك لعدوّ ، إن هو أفلس طالبت بتوقيع العقوبة عليه وأنت مرتاح الصدر .

شايلوك : ما كل هذا الغضب ؟ إننى أريد صداقتك ، وأطعم فى حبك ، وأتناسى الإهانات التى وجهتها لىّ ، وأوفر لك احتياجائك الراهنه ، ولا أطلبك

(١) الكلمة اليونانية الدالة على « الفائدة » تعنى أيضا « النسل » ، وكأن المال يتناسل ويلد شبيها به .

(١) وردت قصة خراف يعقوب ولا بان فى سفر التكوين (الإصحاح ٣٠) . وكان الاعتقاد هو أن الوليد يأتى شبيها بما تقع عليه عينا أمه أثناء عملية التزاوج .

(٢) كان الاعتراض الشائع على الربا هو أنه يحقق الكسب دون جهد مقابل .

بفلس واحد كفائدة لنقودى ، وأنت لا تريد الإصغاء إلى . . إنه إكرام منى لك .

بسانيو : هو عرض كريم .

شاييلوك : وسأبرهن على كرم نواياى . . تعال معى إلى محرر العقود ، ولتوقع هناك عقدًا غير مشروط ، ولنذكر فيه على سبيل المزاح أنك إن لم تدفع فى الموعد المحدد ، وفى المكان المحدد ، المبلغ أو المبالغ المحددة فى شروط العقد ، كان الجزاء رطلًا لا يزيد ولا ينقص من لحم جسمك البض ، أقتطعه وأأخذه من أى جزء أختاره من جسدك .

أنطونيو : موافق بكل تأكيد . . سأوقع على مثل هذا الصك وأقول إن اليهودى كريم جدًا .

بسانيو : لن توقع على مثل هذا الصك من أجل . وإنى لأفضل البقاء فى ضائقتى على ارتضاءك مثل هذا الشرط .

أنطونيو : لا تخش شيئًا يارجل ، فلن أتخلف عن الوفاء بالدين . ففى ظرف الشهرين القادمين ، أى قبل حلول أجل الوفاء بالدين بشهر كامل ، أتوقع وصول أرباح هى ثلاثة أضعاف قيمة هذا الصك .

شاييلوك : يا أبانا إبراهيم ! أى أناس هؤلاء المسيحيون الذين تدفعهم قسوة معاملاتهم إلى الشك فى نوايا الآخرين ! أرجوك أن تجيب على سؤالى : لو أنه لم يوف بتعهده فى الموعد المحدد ، فما الذى سأكسبه من وراء توقيع الجزاء ؟ إن رطل لحم بشرى يؤخذ من جسم إنسان هو أقل قيمة ونفعًا من لحم الضأن والبقر والماعز . . إنى بهذه الصفقة أمد يد الصداقة إليه علنى أحظى برضائه . فإن وافق عليها فيها ، وإلا فالوداع . وأرجوك ، من أجل خاطرى ، ألا تسيء فهمى .

أنطونيو : نعم يا شاييلوك ، سأوقع على الصك .

شاييلوك : فلتقابل بعد قليل إذن لدى محرر العقود . لتصدر إليه التعليمات بشأن هذا الصك الفكاهى . أما عنى فسأمضى لتوى لإحضار المبلغ ، وأعين

أحوال منزلى الذى تركته فى حراسة خادم مهممل ، ثم ألحق بك بعد قليل . (يخرج)

أنطونيو : أسرع إذن أبها اليهودى الطيب . . سيتحول اليهودى إلى مسيحى ما دامت الطيبة قد عرفت طريقها إلى قلبه .

بسانيو : لا أطمئن إلى شروط عادلة تصدر عن وغد شرير .

أنطونيو : رويدك يا صاح . فليس بالأمر ما يدعو إلى القلق على . . فقبل شهر من اليوم المحدد ستكون سفنى قد عادت إلى . (يخرجان)

الفصل الثانى

الفصل الثانى

المشهد الأول

بلمونت

(صوت أبواق - يدخل أمير مراكش ، وهو مغربى أسمر كل ثيابه بيضاء ، يرافقه ثلاثة أو أربعة من الأتباع . . . وتدخل أيضًا بورشيا ونيريسا مع بعض الخدم)

أمير مراكش : لا تكرهينى من أجل لون بشرتى ، ذلك اللون الأسمر الذى كستنى به الشمس الساطعة التى أجاورها ونشأتُ بالقرب منها . . . ولتأتنى بأفضل مخلوق من أبناء الشمال حيث لا يكاد يكون بوسع نار الشمس أن تذيب كتل الجليد ، فيتبارى معى من أجل حبك بفضد دماننا ، حتى نرى أىّ الدماء أشدُّ حمرة ، دمه أم دمي . . . ولتعلمى ياسيديتى أن وجهى هذا قد أخاف الشجعان ، كما أقسم بحبى لك أن أجعل العذارى فى بلادنا قد شُغفن بهذا الوجه حبا . وما أنا على استعداد لأن أستبدل بلونى لونا آخر، ما لم يكن ذلك من أجل أن أحظى باهتمامك أى مليكتى الرقيقة .

بورشيا : ثمة اعتبارات أخرى تحكم اختياري غير تفضيل عينى الفتاة لهذا الرجل أو ذاك . فالاقتراع على مصيرى يحرمنى من حق الاختيار الحر . غير أنى أقرّ بأنه لو لم يكن والدى قد فرض على هذا القيد ، ولو لم تكن حكمته قد ألزمتنى بقبول الزواج بمن يظفر بى بالطريقة التى حدّثتك عنها ، لكانت فرصتك أنت ، أيها الأمير الشهير ، عظيمة كفرصة أىّ ممن وقعت عليه عيناي من بين من قدموا يخطبون ودّى .

الفصل الثانى

المشهد الثانى

البندقية

(يدخل لانسلوت جوبو القروى وحده)

لانسلوت : ضميرى سيقترى بكل تأكيد على فكرة الهرب من سيدى اليهودى . .
الشیطان يغربنى ويهمس فى أذنى قائلا : « جوبو ، لانسلوت جوبو ،
أى لانسلوت الطيب » ، أو « أى جوبو الطيب » ، أو « أى لانسلوت
جوبو الطيب ، أطلق ساقيك للريح ، تحرك ، إهرب » . . وضميرى
يقول : « لا . خذ حذرك أى لانسلوت الأمين ، خذ حذرك أى جوبو
الأمين » أو ، (كما سبق القول) ، « أى لانسلوت جوبو الأمين ، لا
تهرب ؛ إصرف النظر عن فكرة إطلاق ساقيك للريح » . أما أشجع
الشیاطین فيحتمى عل الذهاب ، ويقول : « هيا ! » ، ويقول :
« إنطلق ! » ، ويقول : « تشجع بحق الساء ولذ بالفرار » . أما ضميرى
فيتعلق برقة قلبى ويقول لى فى حكمة عظيمة : « حيث أنك يا صديقى
الأمين لانسلوت ابن رجل أمين ، أو بالأحرى ، ابن امرأة أمينة ، (فقد
كانت لدى أبى ، فى الحقيقة ، بعض النزعات والاتجاهات والمجول
المريبة) ، يقول ضميرى هذا : « إزم مكانك يا لانسلوت ولا تتحرك ! » .
فيقول الشيطان : « بل تحرك ! » ، فيقول ضميرى : « لا تتحرك ! » .
عندئذ أقول أنا : « أيها الضمير ، نصيحتك جيدة » ، وأقول : « أيها
الشیطان ، نصيحتك جيدة » . ذلك أننى إن أطعت ضميرى بقيت مع

أمير مراکش : لك الشكر منى حتى على هذا الرد . فرجائى أن تقودينى إلى مكان
الصناديق حتى أجرب حظى . وقسمًا بهذا السيف الذى قتل شاه
إيران ، وذبح أميرًا فارسيا كان قد انتصر على السلطان سليمان فى
ثلاث معارك ، إنى لعلى استعداد من أجل أن أفوز بك ياسيدتى لأن
أحملق فى عينى أشد الناس صرامة حتى يرد طرفة ، وأن اتحدى أجرا
الناس على ظهر البسيطة ، وأن أنتزع من الدبة صغارها الرضع ، وأن
أهزأ بالأسد وهو يزأر فى طلب فريسته . غير أن ما أراه مؤسفا حقا هو
أنه لو تراهن هرقل مع خادمه ليكاس على أن تحدد رمية الترد أيها
أعظم ، فقد يكون الحظ فى جانب الطرف الأضعف . وهو بالضبط
ما حدث ، مما أثار فى هرقل غضبا فى مثل غضبى لو أن إلهة الحظ
العمياء أضلتنى وأنجحت مسعى رجل آخر أقل جدارة منى ،
وقضت علىّ بذلك أن أموت كمدا .

بورشيا : لا مفر أمامك من المخاطرة . وعليك إما أن تحجم عن الاختيار ، أو
أن تقسم قبله أنك إن فشلت فلن تفتح سيدة بعدها فى أمر
الزواج . . فخذ حذرك إذن .

أمير مراکش : قد قبلت . فهيا اصحبينى إلى حيث أجرب حظى .

بورشيا : سنتوجه أولاً إلى المحراب من أجل القسم ، ثم تجرب حظك بعد
العشاء .

أمير مراکش : وليكن الحظ معى فأنعم بالهناء ، وإلا كنت بين الناس طرا أحرهم
بالشقاء !

(صوت أبواق - يخرجون)

سيدى اليهودي ، وهو - والعياذ بالله - كالشيطان نفسه . وإن أنا هربت من اليهودى أكون قد أطعت الشيطان ، وهو - والعياذ بالله - الشيطان بعينه . فالموكد أن اليهودى قد تَقَمَّصه الشيطان . وإنى لأشعر فى قرارة ضميرى بأنها قسوة من ضميرى أن ينصحنى بالبقاء مع اليهودى . أما نصيحة الشيطان فأرق وأعطف . . لذا فإنى سأهرب أياها الشيطان . سأطلق ساقى للريح كما أمرتنى وأهرب .

(يدخل جوبو العجوز حاملاً سلّة)

جوبو : سيدى الشاب ، أنت ، أرجوك ، أين الطريق إلى منزل السيد اليهودى ؟
لانسلوت : (جانباً) يا إلهى ! إنه أبى ! أبى من لحمى ودمى ، قد ذهب بصره إلا قليلاً ، إلا قليلاً جداً ، فهو لا يعرفنى . . سأحاول مداعبته .

جوبو : سيدى الشاب ، أرجوك ، دلّنى على الطريق إلى السيد اليهودى .

لانسلوت : عند الناصية القادمة فلتتجه إلى اليمين ، وعند الناصية التالية فلتتجه إلى الشمال ، وعند الناصية بعدها لا تتجه إلى اليمين أو إلى الشمال ، بل اتجه بطريق غير مباشر إلى منزل اليهودى .

جوبو : بحق القديسين المباركين إنه لإرشاد يصعب على الاستفادة منه ! هل بوسعك أن تخبرنى ما إذا كان هناك شخص يسكن معه ويدعى لانسلوت لا يزال معه أم تركه ؟

لانسلوت : أتعنى السيد لانسلوت الشاب ؟ (جانباً) راقبونى الآن فسأجعل عينيه تذرفان الدمع . أتعنى السيد لانسلوت الشاب ؟

جوبو : إنه ليس « سيداً » ياسيدى ، وإنما هو ابن رجل فقير . ولكن صدقتى إن قلت لك إن أباه رجل أمين ، شديد الفقر ، ولكنه - والله الحمد - ميسور الحال .

لانسلوت : ليكن أباه ما شئت ، ولكننا نتحدث الآن عن السيد لانسلوت الشاب .

جوبو : دع فخامتك من « السيد » ولتسمّه لانسلوت .

لانسلوت : لهذا أسألك أياها العجوز ، ولهذا أناشدك أن تخبرنى عما إذا كنت تتحدث عن السيد لانسلوت الشاب .

جوبو : بعد إذنك ياسيدى ، إنها أتحدث عن لانسلوت .

لانسلوت : فأنت إذن تعنى السيد لانسلوت . . لا تتحدث ياعمى عن السيد لانسلوت ، فإن ذلك السيد الشاب قد قضت المقادير ، وشاءت إرادة السماء ، وحانت الأجال ، (وغير ذلك مما يردده أهل العلم من تعابير) ، فقضى نحبه ، أو ، كما يقول التعبير الدارج ، توفى إلى رحمة الله .

جوبو : لا سمح الله ! لقد كان الفتى سند شيخوختى ودعامتها .

لانسلوت : فهل ترى هيتى إذن هيئة هراوة أو عمود أو عصا أو دعامة ؟ هل تعرفنى ياأبت ؟

جوبو : وأسفاه ! لا أعرفك أياها السيد الشاب ، غير أنى أناشدك أن تخبرنى عما إذا كان ابنى - طيب الله ثراه - حياً أم ميتاً .

لانسلوت : ألا تعرفنى يا أبى ؟

جوبو : نظرى ضعيف للأسف ياسيدى ولا يسمح لى بالتعرف عليك .

لانسلوت : وحتى لو كان نظرك قويا فهناك احتمال ألا تعرفنى . فكما يقال فى الأمثال : الحصيف من عرف ابنه . . حسنا أياها الشيخ ، سأؤدّك بالأخبار عن ابنك . (يركع) امنحنى بركتك . فالحقيقة لابد أن تنكشف فى النهاية ، ولابد للجريمة أن ينفضح أمرها . . قد لا ينفضح أمر ابن إنسان لبعض الوقت . غير أن الحقيقة لابد أن تنجلي .

جوبو : أناشدك ياسيدى أن تنهض . وأنا واثق من أنك لست ابنى لانسلوت .

لانسلوت : لتتوقف عن هذا العبث ولتمنحنى بركتك . فأنا ابنك لانسلوت الذى كان ، وولدك الذى هو كائن ، وصبيك الذى سيكون .

جوبو : لا يمكننى أن أصدّق أنك ابنى .

لانسلوت : لا أدري كيف أفهم هذه القولة منك . غير أنى على أى الأحوال
لانسلوت خادم اليهودى ، وواثق من أن زوجتك مارجورى هى أمى .

جوبو : إسمها هو مارجورى حقا . وإنى لأشهد أنك لو كنت لانسلوت فأنت
ابنى من لحمى ودمى . . يا إلهى ! ما أكثف لحيتك ^(١) ! على ذقنك من
الشعر أكثر مما لدى حصانى دويين منه على ذيله .

لانسلوت : يبدو إذن أن شعر ذيل دويين ينمو من طويل إلى قصير ! وإنى لواثق من
أنه حين شاهدته آخر مرة كان لديه من الشعر على ذيله أكثر مما لدى منه
على وجهى .

جوبو : يا إلهى ! لشّد ما تغيّرت ! خبّرنى : هل أنت وسيدك على وفاق ؟ لقد
أحضرتُ له هدية معى . فهل أنتما على وفاق ؟

لانسلوت : نعم ، نعم . غير أنى وقد قرّر قرارى على الهرب منه ، فلن يقرّلى قرار
حتى تفصل بينى وبينه مسافة . . إن سيدى يهودى قحّ . . وتريد
إعطائه هدية ؟! أعطه حبلا يشنق به نفسه ! إنى أتصوّر جوعا فى
خدمته ، وبوسحك أن تعدّ أصابعى بضلوعى . . ^(٢) غير أنى سعيد
بحضورك يا أبى . . قدّم هديتك نيابة عنى إلى سيّد يدعى بسانيو . إنه
يوزّع على خدمه ملابس جديدة جميلة . فإن لم ألحق بخدمته فسأهرب
من هنا إلى أقصى أرض الله . . آه ! يالها من مصادفة سعيدة ! ها هو
الرجل قادمًا ! كلّمه يا أبى بخصوصى . ولأنقلب يهوديا إن مكثتُ فى
خدمة اليهودى .

(يدخل بسانيو وليوناردو مع تابع أو اثنين)

بسانيو : يمكنك أن تفعل هذا ، شريطة أن تسرع حتى يكون العشاء جاهزًا
فى الساعة الخامسة على أكثر تقدير . أوصل هذه الخطابات ، وأصدر

الأمر بصنع الحلل ، واطلب من جراثيانو أن يحضر فورًا إلى
مسكنى .

(يخرج تابع من أتباعه)

لانسلوت : كلّمه يا أبى .

جوبو : بارك الله فيك ياسيدى .

بسانيو : ألف شكر . . أتريد شيئًا منى ؟

جوبو : هذا ابنى ياسيدى . . فتى فقير .

لانسلوت : لست فتى فقيرًا ياسيدى ، وإنما أنا خادم اليهودى الثرى ، وأرغب
ياسيدى - كما سيوضح لكم والدى - فى أن —————

جوبو : أو كما يقول البعض ، لديه تطلع ^(١) شديد إلى أن يلتحق بخدمة —————
لانسلوت : واختصارًا فإنى خادم لليهودى ، ولدىّ رغبة ، كما سيوضح لك والدى ،
فى أن —————

جوبو : ولا تؤاخذنى إن قلت إنه وسيده نادرا ما يتفقان .

لانسلوت : واختصارًا ، فالحق أن اليهودى قد أساء إلى نحو يدفعنى (كما
سيوضح لك والدى باعتباره رجلا مسنًا) إلى أن —————

جوبو : ومعنى هنا طبق من الحمام أودّ إهداءه إلى فخامتك . . ورجائى هو —————

لانسلوت : واختصارًا فإن الأمر يتعلق على ^(٢) ، كما سيوضح لفخامتك هذا الرجل
المسنّ الأمين . والحقيقة أن أبى بالرغم من سنّه ، ومن فقره ، فهو —————

بسانيو : ليتحدّث أحدكما نيابة عن الإثنين . . ما الموضوع ؟

لانسلوت : أريد أن ألحق بخدمتك ياسيدى .

(١) يقصد : تطلع .

(٢) يقصد : يتعلق بى .

(١) الواضح أن جوبو قد أسك خطأ بشعر قفا ابنه .

(٢) يقصد « أن تعدّ ضلوعى بأصابعك » .

جوبو : وهذا هو جهور ^(١) الموضوع ياسيدى .

بسانيو : إني أعرفك جيدًا . وقد أجبْتُ طلبك . لقد حدّثني سيدك شاييلوك اليوم وأشاد بك ، وإن كنتُ غير واثق من أنه من مصلحتك أن تترك خدمة يهودى غنى لتلتحق بخدمة سيد فى مثل فقرى .

لانسلوت : إن كان المثل القديم يقول « فى فضل الله الكفاية » ، فهو موزّع بالعدل بينك ياسيدى وبين سيد اليهودى : لديك فضل الله ، ولديه الكفاية .

بسانيو : أحسنت القول . . (لجوبو) إذهب مع ابنك . (لانسلوت) ودّع سيدك القديم واسأل عن مكان سكنى . (لأحد أتباعه) أعطه كسوة أجل من كسوة زملائه . هيا !

لانسلوت : لندخل يا أبت . . كنتُ تحسب أنى لن أوفق فى العثور على عمل ؟ أو أن لسانى عاجز عن الإفصاح ؟ (ينظر إلى كفّه) حسنًا ! ليس فى إيطاليا كلها رجل تبشّر خطوط كفّه بحظّ أعظم مما تبشّر به خطوط كفى ! هه ؟ هذا هو خط الحياة . بسيط غير معقد . . ييشرنى بحفنة صغيرة من الزوجات . للأسف الشديد ، مجرد خمس عشرة زوجة ، وهذا لا يكفى . . إحدى عشرة أرملة ، وتسع أبكار . . عدد لا يكفى رجالًا واحدًا . . وسأُنجو من الغرق ثلاث مرات ، وأواجه خطرًا يهدد حياتى من جراء السقوط من فوق سرير وثير . . وهنا مغامرات بسيطة . حسنًا ! لئن كان الحظ امرأة فلا بد أنها فتاة طيبة تلك التى دبرّت مستقبلى . . هيا بنا يا أبت . وسأودّع اليهودى فى مثل لمح البصر .

(يخرج لانسلوت وجوبو)

بسانيو : أرجوك يا عزيزى ليوناردو أن تهتم بهذا الأمر ، وأن تعود لىّ مسرعًا بعد الفراغ من شراء هذه السلع وترتيبها على ظهر السفينة . فلدىّ هذا المساء مأدبة دعوتُ إليها خيرة معارفى . فامض إذن وأسرع .

ليوناردو : سأبذل أقصى جهدى حتى ألبى طلبك .
(يدخل جراشيانو)

جراشيانو : أين سيدك ؟

ليوناردو : هناك يتمشى ياسيدى . (يخرج)

جراشيانو : سنيور بسانيو !

بسانيو : جراشيانو ؟

جراشيانو : عندى طلب .

بسانيو : قد أجبّتك إليه .

جراشيانو : أرجوك ألا ترفضه . أريد الذهاب معك إلى بلمونت .

بسانيو : فستذهب إذن . ولكن ، إسمع منى يا جراشيانو . . إنك طائش أكثر مما ينبغى ، صريح أكثر مما ينبغى ، على الصوت أكثر مما ينبغى . وهى صفات لا تبدو عيوبًا فى أعين رجال مجموعتنا ، بل ونستملحها فيك . غير أنها فى أىّ جمع آخر لا يعرفك قد تبدو مستهجنة . فرجائى أن تبذل بعض الجهد لكبح جماح طيشك بشيء من الرزانة ، حتى لا يُفسد مسلكك النزق فكرة الناس عنى فى المكان الذى أقصده ، فتتحطم آمالى .

جراشيانو : إسمعنى ياسنيور بسانيو . لا تأتمنى بعد اليوم قط إن أنا لم أكلّل بالرزانة مسلكى ، وبالاحترام حديثى ، وإن أنا لم أقلع عن السباب (إلّا من حين إلى آخر) ، وإن أنا لم أحلّ فى جيبى كتب الصلوات ، وإن لم تكن نظراتى وديعة كسيرة ، بل وإن أنا لم أخفّ عينى هكذا تحت قبعتى أثناء تلاوة الحمد ، متنهدا وقائلاً « آمين » ، وإن أنا لم أراع كافة ما يقتضيه الأدب ، مراعاة المدرّب على السلوك الحميد من أجل إرضاء جدّته !

بسانيو : حسنًا . سنرى إذن مسلكك .

جراشيانو : مع استثناء هذه الليلة . فرجائى ألا تحكم علىّ من مسلكى هذا المساء .

(١) يقصد : جوهر .

الفصل الثانى

بسانيو : لن أفعل . بل سأستاء لو أنك أحسنت السلوك هذا المساء ، وأناشدك أن تُقدم على أجرأ صنوف اللهو والمرح التى يريد لها مَنْ دَعَوْتُهُمْ من الأصدقاء . . إلى اللقاء إذن ، فلدى ما أريد إنجازه .

جراشيانو : وعلى أن أذهب إلى لورينزو وسائر الجمع . وسنأتيك وقت العشاء .

(يخرجان)

المشهد الثالث

البنديقة

(تدخل جيسيكا ولانسلوت)

جيسيكا : يؤسفنى أن تترك خدمة أبى على هذا النحو . فبيتنا - وهو الجحيم بعينه - كنت فيه شيطاناً مرحاً يخفّف بعض الشيء من عناء الملل . ولكن ، وداعاً . وهاكْ دوقية . . واسمع يالانسلوت : ستقابل الليلة وقت العشاء لورينزو ، وهو ضيف من ضيوف سيدك الجديد . سلّمه هذا الخطاب خفية . . وداعاً إذن ، فلا أحب أن يرانى والدى وأنا أتحدث معك .

لانسولت : وداعاً . . دموعى تفصح عما يعجز لسانى عن التعبير عنه . أيتها الوثنية رائعة الحسن ، أيتها اليهودية بالغة الرقة ، أراهنك على أن رجلاً مسيحياً داهية سينصب شباكه لاصطيادك . . ولكن وداعاً . فهذه الدموع الحمقاء تحمد بعض الشيء من رجولتى . . (يخرج)

جيسيكا : وداعاً أى لانسلوت الطيب . . يالها من خطيئة فظيعة إذ أشعر بالخجل من أن أكون ابنة أبى ! ومع ذلك ، فرغم أنى ابتته من صلبه ، فلست ابتته فى السلوك . . آه يالورينزو ! لو أنك أوفيت بوعدهك فسأتخلص من هذه المشاعر المتصارعة القوية ، بأن أعتنق المسيحية وأصبح زوجتك الوفية .

لانسولوت : بعد إذنك ياسيدى .

لورينزو : إلى أين ؟

لانسولوت : أمضى فأدعو سيدى القديم اليهودى إلى العشاء هذا المساء مع سيدى الجديد المسيحى .

لورينزو : انتظر . خذ هذا مكافأة لك ، واخبر جيسىكا الرقيقة أنى سأوفى بوعدى . خبّرها بذلك على انفراد . (يخرج لانسولوت) . هيا انصرفوا أيها السادة لتعدّوا للحفلة التذكيرية هذا المساء . وقد اتفقت مع شخص ما ليكون حامل مشعل .

ساليرو : سأمضى على الفور للإعداد لها .

سولانيو : وأنا أيضًا .

لورينزو : قابلانى وجراشيانو فى مسكنه بعد ساعة من الآن .

ساليرو : سنفعل ذلك . (يخرج ساليرو وسولانيو) .

جراشيانو : أليست هذه الرسالة من جيسىكا الجميلة ؟

لورينزو : علىّ أن أحيطك بالموضوع كله . . لقد كتبت إلى بتفاصيل خطّة اصطحابى لها من منزل والدها ، وبها ستأخذه من ذهب ومجوهرات ، وحلّة الغلام التى أعدّتها لنفسها . . أراهنك على أنه لو سمح لوالدها بدخول الجنة لكان ذلك من أجل ابنته الرقيقة . وما أحسب سوء الحظ سيقربص بها فى الطريق إلا بحجة أنها ابنة يهودى كافر . هيا معى . واقرأ هذا الخطاب ونحن فى الطريق . واعلم أن جيسىكا الحسنة هى التى ستكون حاملة مشعل .

(يخرجان)

المشهد الرابع

البندقية

(يدخل جراشيانو ولورينزو وساليرو وسولانيو)

لورينزو : سنتسلّل خفية وقت العشاء ، ونتنكّر بمسكنى فى زىّ مختلف ، ثم نعود فى خلال ساعة .

جراشيانو : لم نتخذ بعد الاستعدادات المناسبة .

ساليرو : ولم نناقش بعد موضوع حملة المشاعل .

سولانيو : سيكون الأمر كله بشعا لو لم نعدّ له بعناية ، ويضحى من الأفضل لو لم نكن قد شرعنا فيه .

لورينزو : لم تتجاوز الساعة الرابعة بعد ، وأماننا ساعتان كافيتان للاستعداد .

(يدخل لانسولوت يحمل خطابا)

صديقى لانسولوت ! ما الأخبار ؟

لانسولوت : لو تكرمتم بفتح هذا الخطاب فستعلم الأخبار منه .

لورينزو : أعرف خطّ من هذا . . خط جميل كتبته يد جميلة هى أكثر بياضا من الورقة التى استخدمتها .

جراشيانو : أقسم أنها أخبار غرامية !

لانسلوت : أرجوك أن تذهب ياسيدى . فسيدى الشاب ينتظر وُصْلَكَ (١) .

شاييلوك : وأنا أيضا أنتظر وُصْلَهُ !

لانسلوت : وقد اتفقوا سويا على . . لن أفشى السر فأقول إنك ستشهد حفلاً تنكريا، غير أنك إن رأيت حفلاً تنكرياً فاعلم أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن ينزف أنفى يوم الإثنين التالى لعيد الفصح الماضى فى السادسة صباحاً ، وهو اليوم الذى صادف ذلك العام أن يكون يوم الأربعاء ، أول أيام صوم الأربعين ، فى العام الرابع من ساعة العصر (٢) !

شاييلوك : أستكون هناك إذن حفلة تنكرية ؟ إسمعى يا جيسىكا . أحكمى غلق أبوابى . فإن سمعت صوت الطبل ، وصوت الزمار المزعج الحاد يعزف عليه زمار قد التوى من النفخ عنقه ، فلا تتسلقى عندئذ إلى النوافذ ، ولا تطلّى برأسك على الطريق العام حتى تتفرّجى على مسيحيين حمقى يلبسون أقنعة ملوثة . وإنما أريدك أن تصمى أذان دارى ، أعنى نوافذها ، فلا تدخل أصوات اللهو الأجوف بيتى الوقور . . أقسم بعضا يعقوب أنى لا رغبة عندى فى التوجه إلى حفل هذا المساء . . غير أنى سأذهب . إمض قبلى يا صاح وخبرهم أنى سأحضر .

لانسلوت : سأمضى قبلك ياسيدى . (جانباً لجيسىكا) تطلّعى من النافذة ياسيدتى رغم كل ما قال . وسيأتيك فتى مسيحى ، خليك بإعجاب ابنة اليهودى . (يخرج)

شاييلوك : ما الذى كان يقوله لك ذلك الأبله من نسل هاجر ؟

جيسىكا : قال « الوداع ياسيدتى » ، لا أكثر ولا أقل .

شاييلوك : قد يكون هذا الرجل التافه طيب القلب . غير أنه شره فى الأكل ، بطيء فى كسب الرزق بطء القوقع ، ينام بالنهار أطول مما ينام السّنُور . . وإذ

(١) يقصد : وصولك .

(٢) مجرد لغو لا معنى له .

المشهد الخامس

البندقية - أمام دار شاييلوك

(يدخل شاييلوك اليهودى والقروى لانسلوت ، خادمه السابق)

شاييلوك : حسنا . . سترى بنفسك ، وستحكم عينك أى فارق بين شاييلوك العجوز وبسانيو . (ينادى) جيسىكا ! . . لن تجد عنده من الطعام ما يشبع نهمك كما كنت تجد هنا . (ينادى) جيسىكا ! . . ولا من النوم والشخير وما تُبلى من الثياب . . (ينادى) جيسىكا !

لانسلوت : (ينادى) جيسىكا !

شاييلوك : من أمرك بأن تنادى ؟ أنا لم أمرك بأن تنادى .

لانسلوت : كان من عادة سيادتك أن توبخنى إذ لا أفعل شيئاً ما لم تأمرنى به .

(تدخل جيسىكا)

جيسىكا : أتنادينى ؟ ماذا تريد ؟

شاييلوك : أنا مدعو إلى العشاء يا جيسىكا . . هاك مفاتيحي . . ولكن ، ما الذى يضطرنى إلى الذهاب ؟ إنهم لم يدعونى عن حبّ لى ، وإنما لتملّقى . ومع ذلك فسأمضى إليهم ، عن بُغض لهم ، ولأطعم من مائدة المسيحي المبذر . . جيسىكا ! لتعتنى بالمنزل يابنتى . . إنى لشديد العزوف عن الذهاب . فثمة أمر شرير يُدبّر لإزعاجى ، بدليل منامى الليلة الماضية الذى رأيت فيه أكياس أموالى .

الفصل الثانى

ليس لذكر النحل مكان فى خليتى ، فإننى أتخلى عنه ، وأتخلى عنه لأمرىء
آمل أن يساعده لانسלות فى تبديد ما اقترضه من أموال . . فلتدخل
الدار إذن يا جيسيكا . . قد أغتير رأى فأعود على الفور . . أطيعى أمرى
واغلقى الأبواب بعد دخولك . . قديما قالوا : « أحرس المال يحرسك » .
وهو مثل عظيم ، يستنير به العقل الحكيم . (يخرج)

جيسيكا : وداعا ! فإن كان الحظ مواتيا ، فقدت ابنة لك وفقدت أبا ليا ! (تخرج)

المشهد السادس

نفس المنظر

(يدخل جراشيانو وساليريو متكبرين)

جراشيانو : هذه هى السقيفة التى طلب منا لورينزو أن تنتظره تحتها .

ساليريو : لقد تأخر عن موعدة .

جراشيانو : إنه لأمر غريب أن يتأخر عن موعدة . فمن عادة العشاق أن يصلوا قبل
الموعد .

ساليريو : ومن عادة حمائم فينوس أن يكون طيرانها لمباركة عهد حب جديد أسرع
عشر مرات من طيرانها للحفاظ على عهد زواج قديم !

جراشيانو : وهو الحال دائما . إذ من ذا الذى ينهض من المأدبة وشهيته على حالها
وقت جلوسه إليها ؟ وأين هو الحصان الذى يعود أدراجه فى نفس الطريق
المملة بنفس التحمس الذى كان يعدو به أول مرة ؟ ألا إن تحمّسنا فى
البحث عن الشيء ، أى شيء ، لأعظم كثيرا من استمتاعنا به بعد
تملكه . إن السفينة المزيّنة لتبحر من مرفئها وكأنها الإبن الأصغر المدلل
المرتف ، تحتضنها وتعانقها الريح المتقلّبة ، ثم تعود عودة الإبن الضال
وقد تلفت أضلاعها وتمزقت أشرعتها ، هزيلة محطمة فقيرة بفعل هذه
الريح المتقلّبة ذاتها .

(يدخل لورينزو)

ساليريو : ها هو لورينزو قد أقبل .. سنواصل الحديث فيما بعد .

لورينزو : معذرة أى صديقى العزيزين لهذا التأخير منى . فمشاغلى هى المسئلة لا أنا عن اضطراكم إلى الانتظار . ولكما على أن أصبر طويلاً فى انتظاركما حين تعزمان اختطاف زوجتين لكما .. تقدّما . فهنا يقطن أبى اليهودى . (ينادى) من بالداخل ؟

(تظهر جيسىكا فى شرفة علوية وهى ترتدى زىّ غلام)

جيسىكا : من أنت ؟ خبرنى حتى أتيقن رغم ثقى من تمييز صوتك .

لورينزو : لورينزو ، وحبيبك .

جيسىكا : لورينزو دون شك ، وحبيبى بكل تأكيد . إذ من ذا الذى أحبه أكثر من حبى إياك ؟ ومن غيرك يالورينزو يعلم أنى حبيبتك ؟

لورينزو : السماء ومشاعرك تشهد أنى أحبك .

جيسىكا : خذ ! تلقّف هذه العلبة . ما فيها يساوى الكذّ فى جمعه .. وإنى لسعيدة بأن ظلمة الليل تحول دون رؤيتك إياى ، إذ كم أنا خجلة من مظهرى الجديد هذا . غير أن الحب أعمى ، والمحبون عاجزون عن رؤية الحماقات الجميلة التى يرتكبونها . ولو أنهم كانوا مبصرين لتملّك كيوييد نفسه الخجل إذ يرانى وقد تحوّلت هكذا إلى غلام .

لورينزو : إنزلى حتى تكونى حاملة مشعل .

جيسىكا : كيف ! أأحمل بنفسى الضوء الذى يفضحنى ؟ فضيحتى فى حدّ ذاتها ظاهرة دون حاجة إلى ضوء ، وما تكلفنى به يا حبيبى سيزيدها وضوحاً فى الوقت الذى أسعى فيه إلى إخفائها .

لورينزو : لن يتعرّف أحد عليك يا حبيبتى وأنت فى هذا الزىّ الجميل للغلام . ولكن هيا على الفور قبل أن ينصرم هذا الليل البهيم ، والقوم ينتظروننا فى حفل بسانيو .

جيسىكا : سأوصد الأبواب ، وأزود نفسى بمزيد من الدوقيات ، ثم ألحق بك للتو .

(تترك جيسىكا الشرفة إلى الداخل)

جراشيانو : قسما بهذا القناع الذى ألبسه ، إنها أبعد ما تكون عن سمات اليهودى .

لورينزو : الويل لى إن لم أكن أحبها من كل قلبى ! فإن صدق حكمى فهى فتاة عاقلة ، وإن لم تخدعنى عيناي فهى فتاة حسناء . وقد أثبتت فعالها أنها وفية مخلصه . وعلى قدر صفات الحكمة والجمال والوفاء فيها سأجعل لها مكانة فى قلبى الوفى دوما لها .

(تدخل جيسىكا)

قد أتيت إذن ؟ أيها الغلام الرقيق هيا بنا ، فراقنا فى الحفل التنكرى هم الآن فى انتظارنا .

(يدخل أنطونيو)

أنطونيو : من هناك ؟

جراشيانو : سنبور أنطونيو ؟

أنطونيو : ويلي عليك يا جراشيانو ! أين البقية ؟ الساعة الآن التاسعة وأصدقائنا كلهم فى انتظارك . لن يكون ثمة حفل تنكرى . فقد تحوّل مسار الريح ، وعمّا قليل يركب بسانيو السفينة .. لقد بعثت بعشرين رجلاً للبحث عنك .

جراشيانو : وأنا سعيد بهذا الخبر : فما لى من رجاء ، إلا إن أركب السفينة وأمضى هذا المساء . (يخرجان)

المشهد السابع

بلمونت

(تدخل بورشيا وأمير مراكش مع أتباعها)

بورشيا : هيا أزيحوا الستائر عن الصناديق حتى يراها هذا الأمير النبيل . والآن فلتختر واحدا منها .

أمير مراكش : أولها صندوق من ذهب قد كُتب عليه : « من اختارنى نال ما يتمناه الكثيرون » . والثانى من فضة ، كتب عليه : « من اختارنى نال بمقدار ما يستحق » . والثالث من الرصاص القاتم ، كتب عليه تحذير قاتم مثله : « من اختارنى عليه أن يعطى وأن يخاطر بكل ما عنده » . فكيف عساني أن أعلم أنى أحسنت الاختيار ؟

بورشيا : أحد الصناديق يحوى صورتي أيها الأمير . فإن اخترته أصبح زوجة لك .

أمير مراكش : وفق الله اختياري إذن . . فلأنظر وأتدبر . أراجع الكتابات مرة أخرى . ماذا يقول صندوق الرصاص ؟ « من اختارنى عليه أن يعطى وأن يخاطر بكل ما عنده » . . أن يعطى ؟ من أجل أى مقابل ؟ مقابل الرصاص ؟! هذا الصندوق يندرنى : فمن خاطر بكل ما عنده إنها يخاطر من أجل ما سيعود عليه بنفع كبير . وحيث أن العقل النبيل لن يلتفت إلى مثل هذه التفاهات ، فلانية لندى أن أعطى أو أن

أخاطر بأى شىء فى سبيل الرصاص . فما يقول الصندوق الفضى بلونه النقى ؟ « من اختارنى نال بمقدار ما يستحق » . . بمقدار ما يستحق . . لتتوقف هنا أيها الأمير ، ولتزن قدرك فى موضوعية وحياد . لو قيس قدرك برأيك فى نفسك لاستحققت ما فيه الكفاية . غير أن الكفاية قد لا تشمل هذه السيدة . . ومع ذلك فإن الشك فى قدر ذاتى يحط من شأنى ويوهنه . . « بمقدار ما يستحق » . . وأنا أستحق أن أفوز بالسيدة . فأنا كفء لها من حيث الأصل ، ومن حيث الثراء ، والشئال ، والسلوك المهذب ، وأستحقها ، قبل أى شىء آخر ، بفضل حبى لها . فهاذا لو أنى توقفت هنا واخترت هذا الصندوق ؟ لأقرأ مرة أخرى ما كتب على صندوق الذهب : « من اختارنى نال ما يتمناه الكثيرون » . آه ! هى السيدة بعينها ! فالعالم كله طامع فى الفوز بها . والناس من أركان العالم الأربعة يغدون إلى هنا ليقبلوا هذه الأيقونة المقدسة ، بل القديس الحى ! وما صحارى هيركانيا^(١) وبلاد العرب الشاسعة إلا بمثابة طرق يسلكها الأمراء من أجل أن يحظوا برؤية بورشيا الجميلة . أما مملكة البحار التى ينطح رأسها المتشامخ وجه السماء ، فليس بوسعها أن تحول بين الأجانب وبين المعجى لمشاهدة بورشيا الحسناء وكأن البحار مجرد جداول من الماء . . صندوق من هذه الصناديق الثلاثة يحوى صورتها البديعة . أفمن المقول أن يحتويها الصندوق الرصاصى ؟ ما أبشع أن تمر بخاطري مثل هذه الفكرة ، أو أن يودع كفنها فى هذا القبر المظلم ! أم أن صورتها فى صندوق الفضة التى تعارف الناس على أن قيمة الذهب تعادل عشرة أمثال قيمتها ؟ يالها من فكرة حقيرة أن تودع مثل هذه الجوهرة الثمينة فى غير وعاء من ذهب ! إن لديهم فى انجلترا عملة عليها صورة ملاك^(٢) ذهبى . غير أن الذهب فيها مجرد قشرة ، أما

(١) صحارى جنوبى بحر قزوين .

(٢) عملة كانت تعرف باسم angel حملها صورة الملاك ميكائيل .

الفصل الثانى

المشهد الثامن البندقية

(يدخل ساليريو وسولانيو)

ساليريو : أؤكد لك أنى رأيت بسانيو فى السفينة وقد أبحر معه جراشيانو . أما لورينزو فلم يكن فى سفينتهما .

سولانيو : لقد توجه اليهودى الوجد إلى الدوق يصرخ ويحتج ، فمضى معه حتى يفششا سفينة بسانيو .

ساليريو : وصلا متأخرًا بعد أن أقلعت السفينة . غير أن البعض أفهم الدوق هناك أن لورينزو وعاشقته جيسىكا قد شوهدا معا فى جندول . كما شهد أنطونيو أمام الدوق أنها لم يكونا مع بسانيو فى سفينته .

سولانيو : لم أر فى حياتى هياجا مختلطا غريبًا فظيعةً متقلبا مثلما رأيته فى اليهودى الكلب وهو يهتف فى الطرقات : « ابنتى ! أه يادوقياتى ! أه يا ابنتى ! فزت مع مسيحى ! أه يادوقياتى المسيحية ! العدالة ! القانون ! دوقياتى وابنتى ! كيس مختوم ، كيسان مختومان من الدوقيات ، من الدوقيات المزدوجة ، سرقتهما ابنتى منى ! ومجوهرات أيضًا . حجران ، حجران كريمان ثمينان ، سرقتهما ابنتى ! العدالة ! ابحنوا عن الفتاة ! معها الحجران والدوقيات ! » .

هنا فثمة ملاك يرقد فى سرير من ذهب . . ناولينى المفتاح . لقد اخترت هذا الصندوق ، وليكن قدرى ما يكون .

بورشيا : هاك المفتاح أيا الأمير . فإن كانت صورتى فى الصندوق صرت زوجتك .

(أمير مراكش يفتح الصندوق الذهبى)

أمير مراكش : الويل لى ! ما هذا الذى أراه هنا ؟ جمجمة فى ثقب عينها ورقة . سأقرأ ما كتب فيها :

« كثيرا ما أخبروك وتبهوك

إلى أنه ما كل ما يلمع ذهب .

وكم قد باع روحه حتى يرانى

من كل من هب ودب .

غير أن القبور المذهبة لا تحوى غير الديدان .

فلو أن حكمتك كانت فى مثل بسالتك يا أشجع الشجعان ،

وكان لك رأى الشيوخ فى جسد الشباب ،

لكان جوابك غير هذا الجواب .

وداعا إذن ، فإن طلبك غير مستجاب » .

طلب غير مستجاب وجهد ضائع من بليد . . وداعًا إذن يادفء

الشمس ومرحبا ببرودة الجليد . . وداعًا يابورشيا ، فقلبى منفرط

حزين ، لا يسمح بإطالة الحديث ، وكذا وداع الخائنين .

(ينصرف أمير مراكش وأتباعه)

بورشيا : قد تخلصنا منه فى يسر . هيا ! أسدلو الستائر . وعسى أن يؤوب

بخبيته ، كل من كان له لون بشرته !

(يخرجون - صوت أبواق)

الفصل الثانى

المشهد التاسع

بلمونت

(تدخل نيريسا مع أحد الخدم)

نيريسا : أسرع ، أسرع من فضلك وأزح الستار . فقد أدى أمير أراجون القسم وسيأتى الآن للاختيار .

(صوت أبواق - يدخل أمير أراجون وحاشيته مع بورشيا)

بورشيا : أنظر أيها الأمير النبيل ، ها هى ذى الصناديق . فإن اخترت الصندوق الذى فيه صورتى ، شرعنا فوراً فى مراسم زواجنا . أما إن فشلت يامولاي فسيكون عليك أن تغادرنا على الفور دون أى حديث .

أمير أراجون : يفرض على القسم الذى أديته ثلاثة أمور :

الأول : ألا أذكر لأئى مخلوق أى الصناديق اخترت ؛

والثانى : ألا أحاول الزواج من أية فتاة طيلة عمرى إن أنا لم اختر الصندوق الصحيح ؛

وأخيراً : أن أتركك على الفور وأمضى إن ساء حظى وأحمت و اختيارى .

بورشيا : وهى الشروط التى يقسم أن يراعيها كل من غامر من أهل شحمى التافه .

ساليريو : وكل غلمان البندقية يتبعونه ويرددون صيحاته عن أحجاره وابنته ودوقياته .

سولانيو : فليحذر أنطونيو من أن يتأخر عن الوفاء بدينه ، وإلا دفع ثمن ما حدث .

ساليريو : أحسنت بذكرك لهذا الأمر . لقد أثرته يوم أمس مع رجل فرنسى فأخبرنى بتحطّم سفينة من بلادنا تحمل بضائع ثمينة فى المضيق الذى يفصل بين فرنسا وانجلترا . وقد فكرتُ فى أنطونيو حين أخبرنى بذلك ، وتمنيت فى قرارة نفسى ألا تكون السفينة له .

سولانيو : من الخير أن تحب أنطونيو بما سمعته . ولكن ترفق إذ تنقل إليه الخبر حتى لا ينزعج .

ساليريو : ما على وجه الأرض من هو أطيب منه قلباً . . لقد رأيته وهو يودّع بسانيو، وسمعت بسانيو يخبره أنه سيعود سريعاً ، فأجابه أنطونيو بقوله : « لا تتعجل يا بسانيو ففسد أمورك بسببى ، وخذ من الوقت ما أنت فى حاجة إليه . وأما عن الصّك الذى أخذه اليهودى منى ، فلا تشغل به ذهنك وخططك الغرامية . . . ابتسم للحياة ولا تعباً بغير مشروع زواجك والتعبير الجميل عن حبك على النحو الذى يخدم غرضك هناك » . وعندئذ اغرورقت عيناه بالدموع ، فأشاح وجهه ، واضعاً ذراعه على كتف بسانيو ، وصافح يده بحرارة شديدة غريبة ، ثم افترقا .

سولانيو : إنه لا يجب الدنيا إلا من أجل بسانيو . أرجوك أن ترافقنى فنبحث عنه ، ونحاول أن نهيئ له من أسباب التسلية ما يخفف من الهم الذى يثقل كاهله .

ساليريو : فلنفعل .

(يخرجان)

الرسول : أين سيدتى ؟

بورشيا : هنا . ماذا تريد ياسيدى ؟

الرسول : لقد وصل إلى بابك ياسيدتى شاب من البندقية ، رسول يبشر بقرب وصول مولاه الذى حمله التحيات إليك : تحيات من نوع السلام والتمنيات الطيبة والهدايا النفيسة . غير أنى لم أشهد فى حياتى رسول غرام فى مثل جمال هذا الذى جاء يسبق سيده . فهو كيوم جميل من أيام إبريل يبشر بقرب صيف رائع خصب .

بورشيا : كفاك حديثا ، أرجوك . فإننى لأكاد أخشى أن تمضى فتقول إنه واحد من أقربائك بعد استخدامك لأقوى التعابير فى امتداحه . . تعالى يانيريسا معى ، فإننى لمشتاقة إلى رؤية هذا الرسول لكيوبيد ، ذاك الذى أتانا مسرعا فى مثل هذه الصورة البديعة .

نيريسا : وإنى لأدعو إله الحب أن يكون القادم هو بسانيو !

(يخرجون)

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المشهد الأول البنديقة

(يدخل سولانيو وساليريو)

سولانيو : ما الأخبار في الريالتو ؟

ساليريو : لا يزالون يقولون ، دون أن يكذبهم أحد ، إن سفينة لأنطونيو محملة بنفيس البضائع قد تحطمت في مضيق دوفر عند موقع يسمونه رمال جودوين^(١) ، وهو موقع ضحل المياه ، شديد الخطورة ، يقال إن في قاعه حُطام العديد من السفن الضخمة . . هذا إن صحّت الشائعات التي وصلت مسامعي .

سولانيو : ليتها كانت كاذبة كذب الشمطاوات أو كذب المرأة التي توهم جيرانها بأنها تنذب موت زوجها الثالث ! غير أن الخبر صحيح ، ويمكنني القول دون التواء ومواربة ، ودون لف أو دوران ، أن أنطونيو الطيب ، أنطونيو الأمين ، أنطونيو الـ . . . ليتني أجد وصفا خليقا به .

ساليريو : قل وعجل !

سولانيو : هه ؟ ماذا تعنى ؟ خلاصة القول أنه فقد إحدى سفنه .

ساليريو : علّها تكون آخر خسائره .

(١) رمال عند الساحل الجنوبي لمقاطعة كنت بإنجلترا تمتد في البحر لمسافة ستة أميال .

سولانيو : فلا أقل « آمين » حتى لا يُفسد الشيطان دعائى . وما هو قد أقبل فى هيئة يهودى .

(يدخل شايلوك)

شايلوك ! ما الأخبار التى يتناقلها التجار ؟

شايلوك : كتبنا تعلمان سلفا بفرار ابنتى . نعم . ليس ثمة من كان يعلم به أكثر منكما .

ساليريو : بكل تأكيد . وعن نفسى أقول إنى أعرف الحائك الذى صنع لها الجناحين اللذين استخدمتهما فى الهرب .

سولانيو : وشايلوك من جانبه يعلم أن الطائر كان قد نبت ريشه ، فكان من الطبيعى أن يحين أوان هجره لعش أمه .

شايلوك : عليها اللعنة !

ساليريو : هذا مؤكد إن كان الشيطان هو الحكم فى قضيتها .

شايلوك : أية ثورة هذه من لحمى ودمى !

سولانيو : ألا تحجل أيها العجوز الفانى ؟ أبيع لحملك ودمك فى مثل هذه السن؟! (١)

شايلوك : أردت القول إن ابنتى هى لحمى ودمى .

ساليريو : الفارق بين لحملك ولحمها أكبر من الفارق بين الفحم والعاج ، والفارق بين دمك ودمها أعظم من الفارق بين النبيذ الأحمر الرخيص ونبيذ الراين . . ولكن خبرنا : هل سمعت بخبر مؤداه أن أنطونيو فقد سفنا له فى البحر ؟

شايلوك : وتلك خسارة أخرى لى . . هو رجل مفلس ، أدى به تبذيره إلى أن أضحى لا يجرو على أن يرى وجهه فى الريالتو ، وغدا شحاذاً بعد أن كان يمشى

(١) يتظاهر سولانيو بأنه ظن شايلوك يعنى الشهوة الجنسية .

مختالا فى السوق . . ليحذر الإخلال بالعقد . . اعتاد فى الماضى أن يدعونى بالمرايى . فليحذر الإخلال بالعقد . . واعتاد أن يقرض المال كمسيحى دون فوائد . فليحذر الإخلال بالعقد !

ساليريو : أنا واثق من أنك لن تطالب بلحمه إن هو أخلّ بالعقد . إذ أى نفع لك فى هذا اللحم ؟

شايلوك : أستخدمه طُعماً لصيد السمك ! إن لم يهذى من غائلة جوعى هذا من غائلة رغبتى فى الثأر . لقد أساء إلى سمعتى ، وحرمنى من كسب نصف مليون ، وهزأ بخسائرى ، وسخر من أرباحى ، واحتقر أمتى ، وأفسد صفقاتى ، وحول عنى أصدقائى ، وأثار على أعدائى . . فما دافعه إلى ذلك ؟ أننى يهودى . . أما لليهودى عينان ؟ أما لليهودى يدان ، وأعضاء وهىة ، ومدارك وعواطف وأحاسيس ؟ أليس كالمسيحى يأكل من نفس الطعام ، وتؤذيه نفس الأسلحة ، وتصيبه نفس الأمراض ، ويعالجه نفس الدواء ، ويشعر بالدفء فى نفس الصيف ، وبالبرد فى نفس الشتاء ؟ ألا يسيل الدم منا إذا طعنتمونا ، ونضحك إذا داعبتمونا ، ونموت إذا سمتمونا ؟ فإن أنتم أسأتم إلينا ، أفما من حقنا أن ننتقم ؟ فإن كنا مثلكم فى كل ما ذكرت ، فسنكون مثلكم فى هذا الصدد أيضاً . . إذ ما جزاء اليهودى إن هو أساء إلى مسيحى ؟ الثأر . وما هو بالتالى جزاء المسيحى إن هو أساء إلى يهودى ؟ هو الثأر أيضاً ! وستشهدون منى الغلظة التى تعلمتها منكم ، بل وأشد منها إن لم يحل بينى وبينها حائل .

(يدخل أحد خدم أنطونيو)

الخادم : (لسولانيو وساليريو) مولاي أنطونيو فى داره ويريد التحدث إليكما .

ساليريو : لقد كنا نبحث عنه فى كل مكان .

(يدخل طوبال)

سولانيو : وهذا امرؤ آخر من قبيلته . وما ثمة ثالث يمكننا مقارنته بهاذين ما لم يعتنق الشيطان نفسه دين اليهود .

(يخرج ساليريو وسولانيو والخادم)

شايلوك : طوبال ! ما الأخبار من جنوه ؟ هل وجدت ابنتي ؟

طوبال : مررتُ بأماكن كثيرة حدثوني فيها عنها ، غير أني لم أوفق إلى العثور عليها .

شايلوك : ربّاه ، ربّاه ، ربّاه ، ربّاه ! ضاعت ماسة كلفتني ألفى دوقية في فرانكفورت ! ما عرفت أمتنا لعنة الساء إلا الآن ، ولا شعرتُ بهذه اللعنة إلا الآن : ألفا دوقية دفعتها ثمنًا لتلك الماسة ، بالإضافة إلى جواهر أخرى نفيسة نفيسة ! ليتني أرى ابنتي ميتة عند قدمي والجواهر في أذنيها ! ليتها في نعشها عند قدمي والدوقيات معها ! لا أخبار عنها ؟ كيف ؟ ثم المبالغ التي أنفقت في سبيل البحث عنها ! يالها من خسارة تلو خسارة ! قد سرق اللص مبالغ وأنفقنا المبالغ من أجل العثور على اللص ! وما من نتيجة ، وما من ثأر ، وما من حظ عاثر إلا ما يصادفني ، وما من تنهّدات إلا ما يصدر عني ، وما من دموع إلا ما تذرفه عيني !

طوبال : بل ثمة آخرون ذوو حظ عاثر . . . فقد سمعت في جنوه أن أنطونيو . . .

شايلوك : ماذا ، ماذا ، ماذا ؟ حظ عاثر ؟ حظ عاثر ؟

طوبال : تحطمت سفينة كبيرة له أثناء قدومها من طرابلس .

شايلوك : حمدا لله ، حمدا لله ! أضحيق هذا ؟ أهذا صحيح ؟

طوبال : قد تحادثت مع عدد من البحارة الناجين من السفينة .

شايلوك : شكرا لك يا طوبال . إنها لأخبار سارة . . أخبار سارة ! هاها ! سمعتها في جنوه ؟

طوبال : وسمعت أن ابنتك أنفقت في جنوه في ليلة واحدة ثمانين دوقية .

شايلوك : يالها كالطعنة بالخنجر في قلبي ! لن أرى ذهبى مرة أخرى ما حييت . ثمانين دوقية في جلسة واحدة ؟ ! ثمانين دوقية !

طوبال : وقد رافقني إلى البندقية عدد من دائني أنطونيو كانوا واثقين من أنه ليس أمام أنطونيو إلا أن يشهر إفلاسه .

شايلوك : وأنا سعيد بذلك . . سأسحقه وأعذبه . . أنا سعيد بذلك .

طوبال : أراني أحدهم خاتما دفعته ابنتك ثمنًا لقرد اشترته منه .

شايلوك : اللعنة عليها ! إنك تعذبني يا طوبال . هو خاتم لي من الزبرجد كانت ليحا قد أهدتني إياه قبل زواجنا . وما كنت لأعطيها ثمنًا لغابة من القروود .

طوبال : غير أن المؤكد أن أنطونيو قد انتهى .

شايلوك : هذا حق . هذا مؤكد . إمض يا طوبال فادفع نيابة عني أجر الضابط الذي سيقبض عليه ، قبل حلول أجل الصك بأسبوعين . وسأنتزع قلبه من جوفه إن هو أخلّ بالعقد ، حتى إذا ما خلعت البندقية منه مارست تجارتني وفق هواي . امض يا طوبال ، ثم قابلني في معبدنا . إذهب يا طوبال ، وفي معبدنا نلتقي .

(يخرجان)

المشهد الثانى

بلمونت

(يدخل بسانيو وبورشيا وجراشيانو ونيريسا وكل أتباعهم)

بورشيا : رجائى إليك أن تترىث ، وأن تتمهل يوما أو يومين قبل أن تغامر . ذلك أنك إن أخطأت الاختيار فقدت أنا صحبتك . . فانتظر إذن بعض الوقت . . لدى إحساس - ليس مبعثه الحب - بأننى لا أريد أن أفقدك ، غير أنك تعلم أن مثل هذا الإحساس لا يمكن أن يبعثه النفور . إنى أخشى أن تسئ فهمى ، والعداوى على أى حال لمن أن يفكر كما شئت دون أن يعبرن عما يفكرن فيه . غير أنى أريدك أن تبقى هنا شهرا أو شهرين قبل أن تخاطر من أجلي . قد يكون بإمكانى أن أهديك إلى سبيل الاختيار السليم ، غير أنى أقسمت ألا أفعل ، ولن أفعل . وقد تخطئ الاختيار فتفقدنى ، فإن فقدتنى فسيدفعنى فقدك إلى التحسر على أنى لم آثم فأحنت بقسمى . . ويلي من عينيك . قد سحرتانى فقسمتانى نصفين : النصف لك ، والنصف الثانى هو أيضا لك . كان ينبغى أن يكون الثانى لى ، غير أنه حتى إن كان لى فهو بالضرورة لك . فالكل إذن لك . . آه من هذا الزمن الخبيث الذى يحول بين المالك وحقه ! فرغم أنى لك فلست فى الواقع لك . فإن كان هذا هو الوضع فليمض الحظ إلى الجحيم دونى . . غير أنى أطلت الحديث ، أطلته لأطيل الوقت ، وأمدّه حتى أوجل لحظة اختيارك .

بسانيو : بل دعينى أختار ، حتى أنهى ما أنا فيه من عذاب كعذاب الجحيم .

بورشيا : كعذاب الجحيم يابسانيو ؟ فاعترف إذن بالخطيئة التى تخالط حبك .

بسانيو : ما من خطيئة هناك غير خطيئة الشك الكريه الذى يثير خوفى من ألا أنال محبوبى . فإن جاز أن يكون ثمة مودة وتوافق بين الثلج والنار ، جازت مخالطة الخطيئة لحيى .

بورشيا : نعم . غير أنى أخشى أن يكون كلامك هذا بدافع ما ذكرته من عذاب ، والتعذيب - كما تعلم - يستخدمونه لإجبار المرء على قول ما يريدونه أن يقول .

بسانيو : عدبنى بالحياة فأعترف بالحقيقة لك .

بورشيا : حسنا إذن : إعترف وعش .

بسانيو : « إعترف وعش » . هذه العبارة هى خلاصة اعترافى . وإنه لعذاب لذيد حين يلقننى معذبى الإجابات الكفيلة بنجاتى ! ولكن ، هيا الآن إلى الصناديق لتجربة حظى .

بورشيا : فلنمض إذن . صورتى فى واحد منها . فإن كنت تحببى حقا فستعثر عليها . ولتنح نيريسا جانبا هى والآخرين . . لتعزف الموسيقى أثناء اختياره ، حتى إذا ما أخفق صاحب الموسيقى نهاية اختياره شأن البجعة التى تنهى حياتها بالغناء . وحتى يكتمل التشبيه أقول إن عيني ستكون الغدير أو القبر المائى الذى سيدفن فيه . أما إن فاز ، فأنى نوع من الموسيقى ستكون ؟ ستكون الموسيقى عندئذ صوت أبواق تدعو الرعية المخلصة إلى الانحناء أمام الملك عند تنويجه ، أو هى الموسيقى العذبة يعزفها أصدقاء العريس عند الفجر تحت نافذته وهو يحلم ، يستدعونها بها إلى حيث يُرم عقد الزواج . . ها هو يتقدم فى وقار لا يقل عن وقار هرقل ، وفى حب يفوق حبه ، حين انبرى هرقل الشاب لإنقاذ العذراء التى قدّمها أهل طروادة وهم سيكون قربانا للوحش البحرى . . إننى ذلك القربان ، وتابعاتى هنا هن بمثابة نساء طروادة وقد خرجن بوجوه عليها

أثر الدمع ليرين نتيجة المغامرة . . إمض ياهرقل ! فإن كُتبت لك الحياة
كتبت لى الحياة . . وإن قلبى لأكثر انزعاجا إذ أشاهد القتال ، من
انزعاجك أنت يامن انبريت للنزال .

(صوت موسيقى وغناء أثناء تأمل بسانيو للصناديق وتعليقه عليها)

الأغنية : خبرونى أين ينبت الحب ؟
فى العقل يا ترى أم فى القلب ؟
كيف ينشأ وما الذى يغذيه ؟
الكل : أجب ! أجب !

الأغنية : إنه يولد فى البصر ،
ويتغذى على النظر ،
ويموت فى المهد ،
فنلتف حول اللحد ،
وأكون أول الناس ،
القارعين للأجراس .

الكل : لنقرع الأجراس .

بسانيو : قد لا يدل المظهر الخارجى إذن على المخبر ، وتظل الدنيا دوماً يخدعها جمال
الرونق . فأمام المحاكم ، مهما كانت الدعوى فاسدة باطلة ، أمكن
للبيان الفصيح إن تبنّاها أن يحجب فساد جوهرها . وفى الدين ، مهما
كان الخطأ جسيماً ، أمكن لصاحبه الوقور أن يعزّزه وأن يدعمه بنص دينى ،
فيخفى القبح بذلك وراء مظهر جميل . وليس ثمة رذيلة مهما هان شأنها
إلا تتوارى خلف ستار من الفضيلة . فما أكثر الجبناء ذوى القلوب المتقلبة
كدرج من الرمال ، ممن نرى على وجوههم لحية هرقل أو لحية مارس إله
الحرب العبوس ، فإن نقبنا فى داخلهم وجدنا أكباداً بيضاء كاللبن^(١) ،

(١) كان المعتقد أن الكبد هو مصدر الشجاعة وأن فى الكبد الأبيض دلالة على الجبن .

وما ينتحلون لأنفسهم مظهر الشجعان إلا كى يخافهم الناس . ثم انظر
إلى الجمال ، ترى أن وسائله ومساحيقه توزن وتشتري ، فتحدث فى الأصل
تغيراً أشبه بالمعجزة ، ويخفّ عقل المتزينة بها بقدر ثقل ما تضعه من
مساحيق . وكذا الحال مع ذلك الشعر الذهبى المتموّج كالشعابين ،
والذى يتناثر مرحاً مع هبوب الريح ، فوق رأس نخاله جيلاً ، ما هو فى
الحقيقة غير ميراث من رأس آخر قد عُتيت جمجمته فى القبر . فما الزينة
إذن إلا بمثابة الساحل الخلاب لأكثر البحار خطورة ، أو الخمار الجميل
فوق وجه دميم ، أو اختصاراً هى مظهر الحقيقة الذى ينتحله الزمان الماكر
حتى ينصب حباته لأكثر الناس حكمه . . ولهذا أشيح بوجهى عنك
أيها الذهب البراق الذى كان طعاماً صلباً لميداس^(١) . كما أشيح بوجهى
عنك أيضاً أيها الفضة الشاحبة المتداولة بين الناس . . أما أنت ، أنت
أيها الرصاص الهزيل الذى يهدّد أكثر مما يعطى من وعود ، فإن شحوب
لونك يؤثر فى نفسى أكثر مما تؤثر فيها الفصاحة الطليّة . سأختارك أنت ،
وليكن نصيبى حياة هنيئة .

بورشيا : (جانباً) كل العواطف عندى ، عدا الحب ، قد تبخّرت فى الهواء :
شكوكى ، ويأسى الذى لم يكن له مبرر ، وخوفى وارتعاضى وغيرتى . .
ولكن ، ترفق أيها الحب واعتدل ، وخفّف من غلوائك ، وأمطر عني من
نشوتك رذاذاً هادئاً لاسيلاً عارماً ! إنى لأشعر بالبهجة ولكن أكثر مما
ينبغى ، فخفّف منها حتى لا تدركنى التخمة .

(يفتح بسانيو الصندوق الرصاصى)

بسانيو : ما الذى أراه هنا ؟ صورة بورشيا الجميلة ! أىّ إنسان أشبه بالآلهة له هذه
القدرة على الخلق ؟ أنتحرك هاتان العينان ؟ أم أن انعكاسهما فى عينيّ هو
الذى يوهمنى بأنهما تتحركان ؟ وهاتان شفتان قد فرقت بينهما أنفاس

(١) ميداس : ملك فريجيا الذى تهورّ فسأل الآلهة أن تحوّل كل ما يلمسه إلى ذهب ، فكان الطعام
والشراب يستحيلان هما أيضاً إلى ذهب كلها مستهها يده .

عطرة، فما أجمله من فاصل بين صديقين جميلين ! وقد كان الرسام في رسمه لشعرها أشبه بالعنكبوت ، إذ نسج شركا ذهبيا يتصنّد به قلوب الرجال بأسرع مما يصيد نسج العنكبوت البعوض . . أما عن عينيها . . . كيف تمكّن الرجل من رؤيتها في رسمها ؟ إذ أنه لو كان رسم عينا واحدة فحسب لأمكن لتلك العين أن تسلبه عينيه معا فما يغدو بوسعه أن يرسم الأخرى . ومع ذلك فإن مديحي لا يوفى بحق هذه الصورة ويغمطه ، تماما كما أن الصورة لا توفى بحق الأصل وتغمطه . . ها هي الرسالة التي تحوى خلاصة طالعي . (يقرأ)

« أنت يامن لم يغتره المظهر عند الانتقاء ،
قد وقّعت في اختيارك وكتب لك الهناء .
وإذ كان هذا هو طالعك السعيد ،
فاقنع به ، ولا تبحث عن جديد .
فإن أسعدك هذا وأرضاك ،
وحقق آمالك ومُنّاك ،
فالتفت تجرد وراءك حبيبتك ،
أطلب يدها ، وأهبا إياها قبلتك » .

رسالة رقيقة ! إذنى لى ، أى سيدتى الجميلة ، فعندى توكيل بأن أطلب وأن أهب . . إننى أقف أمامك أيتها السيدة متناهية الحسن ، وقوف أحد المتنافسين على جائزة ، يحسب أنه قد أرضى الناس بأدائه ، حتى إذا ما سمع التصفيق وهتاف الجماهير ، أدار الصوت رأسه وظل يحملك ويسائل نفسه عما إذا كان الهتاف له أو لغيره . فكذا سأظل أسائل نفسى عما إذا كان هذا حلما أم حقيقة ، حتى يصدر عنك تأكيد وتوقيع وتوثيق !

بورشيا : ترانى الآن ياسيدى بسانيو كما أنا . ورغم أنى لا أتطلع من أجل ذاتى إلى أن أكون أفضل مما أنا عليه ، فقد كان يسعدنى ، من أجلك أنت ، لو كنت أفضل ستين مرة مما أنا عليه ، وأجل ألف مرة ، وأغنى عشرة آلاف

مرة ، حتى أبلغ الغاية في تقديرى لى بفضل خلالي وجمالى ، وثروتى وغزوتى . غير أنى ، كما أنا ، هزيلة القدر . وما أحسبني في مجملتي إلا فتاة ناقصة العلم والثقافة والتجربة ، يسعدها مع ذلك أنها صغيرة السن فيمكنها أن تتعلم ، ويسعدها أكثر أنها ليست شديدة الغباء فيمكنها أن تتعلم ، ويسعدها أكثر وأكثر أنها تُسلم قيادها لك ، توجهها توجيه السيد والحاكم والملك . . وها أنا الآن أُسلمك زمامى وزمام ما ملكت يداى . . لقد كنت حتى هذه اللحظة سيدة هذا القصر الجميل ، ومولاة خدمى ، وسيدة نفسى . أما في هذه اللحظة ، هذه اللحظة عينها ، فقد أضحى هذا القصر وهؤلاء الخدم ونفسى ملكا لك أى مولاي ، أُسلمهم إليك مع خاتمتى هذا . وهو خاتم إن فارقت أو فقدته أو أهديته ، كان ذلك إيذانا بنهاية حبك ، وذريعة لتأنيبك .

بسانيو : قد أفقدنى حديثك ياسيدتى القدرة على الحديث ، ولم يعد غير الدم في عروقى قادرا على مخاطبتك . لقد اضطربت مداركى اضطراب الجمهور الصاحب السعيد بالاستماع إلى خطبة جميلة من أميره المحبوب ، فتختلط الأمور جميعا وتتحول إلى كتم مشعث هائل من السعادة تعبر عن نفسها دون كلام . . أما إن فارق هذا الخاتم إصبعى فليكن الموت جزائى وليكن من حقا أن تعلنى أن بسانيو قد لقي حتفه !

نيريسا : مولاي ومولاتى ، قد حان الآن الوقت لكى يهتف المتفرجون بعد أن تحققت آمالهم ، متمنين لكما الهناء الوفير . تهايننا المولاي ومولاتى .

جراشيانو : سيدى بسانيو ، سيدتى الرقيقة ، أتمنى لكما كل البهجة التى يمكن أن تتمناها ، فأنا واثق أنكما لا تتمنيان لنفسيكما أكثر مما أتمناه لكما . وإنى لأرجوكم حين يحين موعد تنويع عهديكما بالزواج ، أن تسمحا لى أيضا بالزواج في نفس اليوم .

بسانيو : بكل سرور ، شرط أن توفّق في العثور على زوجة .

جراشيانو : شكرا لك يامولاي ، فقد ساعدتني في العثور عليها . فعيناي ليستا بأبطء من عينيك . . قد لمحت السيدة ولمحت أنا وصيفتها ، ووقعت في

شباك الحب ووقعْتُ . وتأخَّرَك في عقد الزواج يعنى تأخَّرى . فإن كان حظك متوقفاً على انتفاك من بين تلك الصناديق فكذا كان حظى على ما يبدو . ظلمت أنشد ودّها حتى تصبب العرق من جبينى ، وأقطع على نفسى عهود الحب حتى جفّ حلقى . وأخيراً حصلتُ من هذه الحساء هنا على وعد مؤكد (إن كان ثمة وعد مؤكد) بأن تبادلنى الغرام شريطة أن توفى فى التزوُّج من سيدتها .

بورشيا : أهذا حق يانيريسا ؟

نيريسا : أجل ياسيدتى شرط موافقتك على ذلك .

بسانيو : وفى نيتك يا جراشيانو أن توفى بعهدك ؟

جراشيانو : أقسم على ذلك بشرفى ياسيدى .

بسانيو : سيكون لحفلنا شرف زواجكما خلاله .

جراشيانو : وسنراهنهما يانيريسا على ألف دوقة آيتنا سينجب أول ولد .

نيريسا : فالرهان إذن قائم ؟

جراشيانو : لو لم يقيم وينتصب لخسرنا الرهان . ولكن ، من هؤلاء ؟ إنه لورينزو وفتاته الكافرة ، ومعهما صديقى البندقى القديم ساليريو .

(يدخل لورينزو وجيسىكا ومعهما ساليريو ، رسولا من البندقية)

بسانيو : مرحبا بكما أى لورينزو وساليريو ، إن كانت حادثة وضعى هنا تحوّل لى حق الترحيب بكما . إذنى لى أيتها العزيزة بورشيا أن أرحب بصديقى ومواطنى .

بورشيا : وأشارك ياسيدى فى هذا الترحيب فقد أسعدنا قدومهما .

لورينزو : شكرا لك ياسيدتى . أما عنى ياسيدى فما كان فى نيتى أصلاً أن ألاقىك هنا لولا أنى قابلت ساليريو فى الطريق فالتح على إلحاحاً لم أستطع مخالفته أن آتى معه .

ساليريو : قد ألححت عليه ياسيدى لسبب معين (يناوله رسالة) هى من السنيور أنطونيو الذى ينقل تحياته إليك .

بسانيو : خبّرنى - قبل أن أفتح الخطاب - كيف حال صديقى العزيز ؟

ساليريو : ليس عليلًا ما لم يكن عقله مصدر علته ، ولا هو معافى ما لم يُعنه عقله على المرض . وستوضّح لك رسالته الحال الذى هو فيه .

(يفض بسانيو الرسالة)

جراشيانو : رجبى يانيريسا بهذه الفتاة الغريبة هنا وأحسنى استقباليها . . ناولنى يدك ياساليريو أضافحك . ما الأخبار من البندقية ؟ وكيف حال شيخ التجار الطيب أنطونيو ؟ أنا واثق من أن نجاحنا هنا سيسعده . فقد وُفّقنا ، شأن جيسون ، فى الظفر بالجزء الذهبية .

ساليريو : لوددت أنكم قد ظفرتم بها خسر أنطونيو .

بورشيا : ثمة أنباء محزنة فى تلك الرسالة التى امتنع وجه بسانيو لقراءتها . لابد أن صديقًا عزيزًا له قدمات ، فما بوسع أى أمر آخر فى الدنيا أن يخلّ هكذا من توازن مثل هذا الرجل الوقور . . وأنباء أسوأ وأسى ؟ . . بعد إذنك يابسانيو . . إنى شريكة حياتك ، ولابد من مشاركتك فيما حملته إليك هذه الرسالة .

بسانيو : آه يا عزيزتى بورشيا . فيها كلمات هى أبشع ما خطّه قلم فى ورق . سيدتى الرقيقة : تذكرين أنى حين كاشفتك بحبى لأول مرة تطوّعتُ بإخطارك أننى لا أملك من متاع الدنيا غير الدم فى عروقى . كنتُ أمينًا إذ أخبرتك بهذا ، وكان قولى صدقا . غير أنى ياسيدتى حين قلت لى فقير معدم كنتُ أحجب الحقيقة كما سترين . فحين أخبرتك أنى لا أملك شيئًا ، كان من واجبى أن أقول لى أبأس حالا من الفقير المعدم . فالواقع أنى قد اقترضت أموالا من صديق عزيز ، ودفعت هذا الصديق لى الاقتراض من عدو شرس له حتى يلجأ احتياجانى . وها هى رسالة ياسيدتى ، كل كلمة فيها كالجرح الغائر يقطر دما . . ولكن ، أصحيح هذا ياساليريو ؟

أخفقت كل تجاراته ؟ لم يكتب لأبها النجاح ؟ لا سفنه القادمة من طربلس ، أو المكسيك ، أو انجلترا ، أو لشبونة ، أو المغرب ، أو الهند ؟ أما من سفينة واحدة نجت من تلك الصخور التى تودى بجهد التجار ؟

ساليرو : ما من سفينة نجت ياسيدى . كذلك يبدو أنه حتى لو كان لديه من المال ما يستد به دينه لليهودى فإن اليهودى سيرفض أخذه . . أقسم أنى ما رأيت فى حياتى مخلوقا فى صورة إنسان بمثل هذه الشراسة والتعطش إلى الفتك بإنسان آخر . إنه يطارد الدوق بإلحاحه ليل نهار ، ويتهم الدولة بخيانة قوانينها إن لم تنصفه العدالة . وقد سعى عشرون من التجار ، والدوق نفسه ، وأكبر وجهاء البندقية فى سبيل إقناعه ، فما أفلح واحد منهم فى أن يصرفه عن مطالبته الحقودة بتوقيع الجزاء ، وتطبيق العدالة ، والالتزام بشروط العقد .

جيسيكا : سمعته حين كنت أقيم معه يقسم لطوبال وشوس ، وهما من مواطنيه ، أنه يفضل الحصول على لحم من جسد أنطونيو على عشرين ضعف المبلغ الذى يدين به له . وإنى لوائقة ياسيدى من أن مصير أنطونيو سيكون مظلما إذا رضخ القانون والسلطة والحكومة لمطلب أبى .

بورشيا : أهو صديقك العزيز هذا الذى وقع فى هذه الورطة ؟

بسانيو : بل أعز أصدقائى ، وأطيب الناس قلبا ، وأرقهم طباعا ، وأسعاهم فى خدمة الآخرين ، وأكثر أهل إيطاليا تمتعا بسجايا الشرف التى عرفتها روما القديمة .

بورشيا : كم المبلغ الذى اقترضه من اليهودى ؟

بسانيو : اقترض ثلاثة آلاف دوقة ليعطينى إياها .

بورشيا : ثلاثة آلاف فقط ؟ أعطه ستة آلاف ومزق العقد . أعطه ضعف الستة آلاف ، أو ثلاثة أضعافها ، حتى لا يفقد صديق بهذه الصفات شعرة واحدة من شعره بسبب غلطة من بسانيو . . ولكن لنذهب أولا إلى الكنيسة فتجعلنى زوجا لك ، ثم امض بعد ذلك إلى صديقك فى

البندقية . غير أنك لن تضاجع بورشيا أبدا وأنت قلق البال . سأزودك بذهب كاف لدفع عشرين ضعف ذلك الدين الضئيل ، حتى إذا ما دفعته عدت إلى مع صديقك الوفى . وسأعيش ووصيفتى نيريسا أثناء غيابكم عيش الأكار والأرامل . هيا إذن ! فقد كُتب عليك أن ترحل يوم زفافك . . رَحِبْ بصديقك وأزل عن وجهك عبوسه . وأما حبي لك فسيكون بقدر ما تعبت فى سبيل الظفر بك . . ولكن لتسمعنى أولا ما كتبه صديقك فى خطابه .

بسانيو : (يقرأ) « عزيزى بسانيو . قد تحطمت سفنى جميعا ، وغلبت القسوة على دائتى وتدهورت أحوالى . قد حلَّ أجل الوفاء بدينى لليهودى ولم أوف به . وحيث أنى لا محالة ميت متى نُقِذت شروط العقد ، فإنى أعفيك من كافة ديونك لى شرط أن أراك قبل موتى . ومع ذلك فإنى لا ألح . فإن لم يكن فى حبك لى حافز كاف على المجيء ، فلا تجعل رسالتى حافزا عليه » .

بورشيا : حبيبى ! عجل بإنهاء أشغالك وسافر إليه .

بسانيو : سأعجل بالسفر ما دمت قد أذنت لى بالذهاب . وأعاهدك ألا أبيت فى فراش أو أعرف الراحة حتى نلتقى بعد غياب .

(يخرجون)

أنطونيو : دعه وشأنه . ولن ألاحقه بعد الآن بتوسلات لا طائل من ورائها . إنه يريد قتلى وأنا أعلم السبب جيداً . فقد سبق لى أن أنقذت الكثيرين ممن جاءوا يطلبون عونى من عقوبة الإخلال بالعقود . وهو يكرهنى لذلك .
سولانيو : أنا واثق من أن الدوق لن يسمح أبداً بتوقيع العقوبة عليك .

أنطونيو : ليس بوسع الدوق أن يغير من مجرى العدالة . فلو أن أى محاولة تمت للحد من امتيازات الأجانب هنا فى البندقية ، للحق سمعتها فى مجال احترام القانون ضرر كبير ، علماً بأن تجارة المدينة و ثراءها يتوقفان على مبدأ المساواة بين أهلها والأجانب . فامض إذن . لقد تسببت أحزاني وخسائرى فى تحول جسدى حتى لأشك فى استطاعتى أن أقدم رطلاً من اللحم غدا إلى دائنى المفترس . هيا إذن أيها السجان . وعسى أن يأتى بسانيو حتى يرانى أسدد دينه ، ثم لن يهمنى بعد هذا شىء .

(يخرجون)

المشهد الثالث

البندقية

(يدخل شاييلوك اليهودى ، وسولانيو ، وأنطونيو ، والسجان)

شاييلوك : حذار أن يُفُلت أيها السجان . ولا تحدثنى عن الرحمة ، فهو الأبله الذى كان يُقرض المال دون فوائد . حذار أن يهرب منك .

أنطونيو : أى شاييلوك الطيب ، إسمعنى .

شاييلوك : سَتُنَفِّذ شروطُ العقد ، فلا أسمعكَ تسفُّهها . وقد أقسمت على نيل حقى . . كنت تدعونى كلباً قبل أن يكون لديك سبب يدفعك إلى هذا . وحيث أنى كلب فاحذر من أنيابى . وسيلتزم الدوق بمقتضيات العدالة . . إنى لأعجب منك أيها السجان الخبيث إذ تبلغ منك الحماية حدَّ الخروج به من السجن استجابة لطلبه .

أنطونيو : أتوسل إليك أن تسمعنى .

شاييلوك : سأنال حقى ولن أسمعك . سَتُنَفِّذ شروطُ العقد فلا معنى لمزيد من الكلام . ولن أسمع لنفسى بأن ألين وأن أخدع ، فأهز رأسى وأتراجع وأنتهد وأستجيب لشفاعاة مسيحيين . . لا تتبعنى ! فما أقبل حديثاً منك . وسأنال حقى . (يخرج)

سولانيو : ما عرف الناس بينهم من هو أكثر عناداً من هذا الكلب .

ميلين من هنا .. وإنى لأمل ألا ترفض الاضطلاع بهذه المهمة التى يفرضها على الآن حبى وبعض الضرورات الأخرى .

لورينزو : سأطيعك ياسيدتى من كل قلبى فى كل ما تأمرين به .

بورشيا : قد أخطرتُ أهل الدار بما اعتزمته ، وسيطيعونك وجيسيكا طاعتهم للسيد بسانيو ولى . فوداعا إذن حتى نلتقى .

لورينزو : صحبتك السعادة وهناء البال .

جيسيكا : ولتتعم سيدتى بكل ما يشتهي قلبها .

بورشيا : أشكركما على تمنياتكما لى ، وهى تمنياتى لكما أيضًا .. إلى اللقاء يا جيسيكا . (تخرج جيسيكا ولورينزو) والآن يا بالتازار . قد عهدتك دوما أمانة وفيا ، فلتنك الآن شأنك دائمًا .. خذ هذه الرسالة ، وامض بها بأسرع ما فى وسع إنسان ، إلى مدينة بادوا ، ثم سلّمها فى يد ابن عمى الدكتور بيلاريو ، وخذ منه المذكرات والملابس التى سيعطيك إياها ، ثم أحضرها إلى بأقصى سرعة تتخيلها إلى مرفأ السفن المتوجهة إلى البندقية . لا تضع الوقت فى الحديث واذهب ، وسأكون فى المرفأ قبل وصولك إليه .

بالتازار : سأسرع يامولاتى . (يخرج)

بورشيا : هيا يانيريسا . فلدى الآن مهمة لا علم لك بها . وسنرى زوجينا قبل أن نخطر بياليهما .

نيريسا : هل سيرونا ؟

بورشيا : أجل يانيريسا ، ولكن فى ملابس يوحى إليهما بأن لدينا ما ليس لدينا . وأراهنك على أى شىء تريدين أننى متى ما لبسنا ملابس الرجال . سأبدو أكثر وسامة منك ، وأكثر اعتيادا على حمل الخنجر منك . سأتكلم بصوت المراهق الرفيع الحاد ، وأخطو خطوة الرجال الواسعة مقابل كل خطوتين أنيقتين للنساء ، وأتحدث عن شجاراتى حديث

المشهد الرابع

بلمونت

(تدخل بورشيا ، ونيريسا ، ولورينزو ، وجيسيكا ، وبلتازار خادم بورشيا)

لورينزو : ما يشجعنى على هذا الحديث ياسيدتى هو فهمك الصحيح النبيل لعاطفة الصداقة الإلهية ، وهو فهم يبدو فى أقوى صوره فى احتمالك غياب زوجك . بيد أنك لو عرفت الشخص الذى بذلت من أجله هذه التضحية وتحاولين مساعدته ، وعرفت مدى حبه لمولاي زوجك ، لكنت أكثر اعتزازًا بفعلتك هذه من أى صنيع عادى قد تضطرك الظروف إلى إسدائه .

بورشيا : ما ندمت قط على صنع الخير ، ولا فى اعتزامى أن أندم على ما صنعتته الآن . فالأصدقاء الذين يتحدثون ويقطعون الوقت معا ، والذين يحمل بعضهم لبعض نفس القدر من المودة ، لا بد أنهم متشابهون فى المظهر والمسلك والروح . وهو ما يجعلنى أعتقد أن أنطونيو هذا ، صديق زوجى الصدوق ، لا بد شبيه بزوجى . فإن كان ذلك كذلك فما أبخس الثمن الذى دفعته فى سبيل إنقاذ شبيه حبيبى من برائن قسوة الجحيم . غير أنى إنها أمدح نفسى بهذا القول ، فلا كفت عنه ، ولتستمع منى إلى أمور أخرى .. إنى أعهد إليك يا لورينزو برعاية منزلى وإدارته إلى حين عودة زوجى . أما عنى فقد نذرت لله نذرا خفيا أن أقضى مع نيريسا مدة غياب سيدى فى الصلاة والتأمل وحدنا ، وسنسكن أثناءها ديرا على بعد

الفصل الثالث

المشهد الخامس

بلمونت

(يدخل القروى لانسلوت وجيسكا)

لانسلوت : ما أقول غير الصدق . فخطايا الأب تقع على رؤوس أبنائهم . ولهذا فإننى قلق عليك ، صدّيقى . لقد كنت دائماً صريحاً معك ، وها أنا الآن أعبر عن مخاوفى فى هذا الشأن . فابتسمى إذن وافرحى ، فإنه واثق من أنك ملعونة إلى آخر الدهر . وليس هناك غير أمل واحد قد ينجيك ، غير أنه حتى هذا الأمل أمل غير شرعى .

جيسكا : وأى أمل هذا ؟

لانسلوت : يمكنك أن تأملى ألا يكون والدك هو والدك ، وألا تكونى ابنة اليهودى .

جيسكا : إنه حقاً أمل غير شرعى . حينئذ تقع خطايا الأم على رأسى .

لانسلوت : هذا حق . فأنت إذن ملعونة من الجهتين : الأب والأم ، إن تجنبت الرمضاء (وهى أبوك) وقعت فى النار التى هى أمك . وبهذا يكون مصيرك مظلماً فى الحالين .

جيسكا : سيُنجنى زوجى الذى جعلنى أتحوّل إلى المسيحية .

لانسلوت : وهذه غلطة أخرى منه . فقد كان عدد المسيحيين قبل انضمامك إليهم أكبر من أن يسمح لهم بالعيش معاً دون مشاكل . وتحويل الناس إلى

الشباب القوى المزهو بنفسه ، وأتى بالأكاذيب الظرفية عن كيف وقعت سيدات محترمات فى غرامى ، وكيف مرضن ومُتن حين أُبَيِّت أن أبادلهن الحب ، وأقول إننى لم أستطع إجبار نفسى ، غير أنى نادى بكم وأمنى رغم ذلك كله أنى لم أقتلهن . . سأروى عشرين من هذه الأكاذيب الصغيرة حتى ليعتقد الرجال أننى توقفت عن الدراسة بعد اثنى عشر شهراً فحسب . . وفى ذهنى ألف حيلة ساذجة سأمارسها . من حيل هؤلاء الأوغاد المتباهين بمغامراتهم .

نيريسا : سيكون مرادنا إذن هو هيئة الرجال ؟

بورشيسا : ويل لك ! أى سؤال هذا ؟ آه لو كان قد سمعه رجل شبق يسىء تفسيره ! ولكن هيا ، وسأحيطك علماً بخطتى كلها ونحن فى العربية التى تنتظرنا عند بوابة الحديقة . أسرعى إذن . فعلياً أن نقطع اليوم مسافة عشرين ميلاً .

(تخرجان)

المسيحية لابدّ سيرفع من ثمن الخنازير . فإن كنا جميعًا سنأكل من لحمها ، فعما قريب لن يكون بوسع الفرد منا أن يشتري ولو قطعة صغيرة يشويها .

(يدخل لورينزو)

جيسيكا : سأخبر زوجي يا لانسلوت بما تقوله . وها هو ذا .

لورينزو : ستصينى الغيرة منك عما قريب يا لانسلوت إن أنت أكثرت من خلواتك هذه مع زوجتى .

جيسيكا : لا داع لهذه المخاوف يا لورينزو فقد تشاجرتُ مع لانسلوت . إنه يجزئنى صراحةً ألا أتوقع رحمة من السماء لأنى ابنة يهودى ، ويقول إنك مواطن غير صالح فى المجتمع إذ تحوّل اليهود إلى الديانة المسيحية فيرتفع بذلك ثمن لحم الخنزير .

لورينزو : أستطيع الدفاع عن موقفى هذا أمام المجتمع أكثر مما تستطيع أنت الدفاع عن تسبّيك فى حمل الفتاة الزنجية . فجارية أمير مراكش حامل منك يا لانسلوت .

لانسلوت : قد يُحمل حُملَ المغربية على محمل الجدّ . غير أن وصفها بالعاهرة إن هو إلا وصفٌ مؤدّب لها .

لورينزو : قد بات بوسع كل أبله أن يتلاعب بالألفاظ ، حتى لأكاد أحسب أن الحكماء عما قريب سيفضلون الالتزام بالصمت ، تاركين الكلام للبيغاوات وحدها . . امضى يا هذا واطلب من الخدم الاستعداد للعشاء .

لانسلوت : هم مستعدون له بالفعل ياسيدى ؛ فهم جوعى .

لورينزو : يا إلهى ! ما أسرع بديهتك ! فاطلب منهم إذن إعداد العشاء .

لانسلوت : العشاء جاهز بالفعل . ولا ينقص غير الغطاء (١) .

(١) يقصد غطاء المائدة .

لورينزو : عليك إذن بالغطاء .

لانسلوت : معاذ الله ياسيدى . فأنا أعرف حدودى (١) .

لورينزو : ما كل هذا التحوير للمعانى ! أفى نيتك أن تفرغ أماننا دفعة واحدة كل ما فى جعبتك من نكات ؟ أرجوك أن تفهم القصد الواضح لرجل واضح . . إذهب إلى الخدم واطلب منهم فرش غطاء المائدة ، وتقديم اللحم ، وسندخل للعشاء .

لانسلوت : فأما المائدة ياسيدى فستقدّم ، وأما اللحم فسيغطى ، وأما دخولكما فمتروك لكما . (يخرج)

لورينزو : ما أسرع بديته وأربع تلاعبه بالألفاظ ! لقد حشد هذا المهرج فى ذاكرته مئات الردود المنتخبة . وإنى لأعرف الكثيرين من المهرجين من أمثاله ، يشغلون مراكز أرفع من مركزه ، ويلبسون مثله لباس المهرجين ، ويستخدمون العبارات الغامضة تجنباً للإفصاح عن معان صريحة . . . ولكن ، كيف حالك أنت يا جيسيكا ؟ خبرينى يا حبيبتى عن رأيك فى زوجة بسانيو .

جيسيكا : تحلّ عن الوصف . فأما وقد نال بسانيو هذه النعمة فى صورة زوجة ، فما أخلقه بأن يعيش حياة قريمة ! إنه يستمتع بنعيم الجنة هنا فى الأرض ، فإن لم يكن أهلاً لهذا النعيم فى الأرض فلن يكون من حقه دخول الجنة . ولو تنافس إلهان فى السماء وتراهنّا على امرأتين فى الأرض أيهما أفضل ، ثم اختار أحدهما بورشيا ، لكان على الثانى أن يضيف شيئاً ثميناً إلى المرأة الثانية حتى لا يخسر رهانه . فما هناك امرأة فى كل هذه الدنيا تعادلها فى القدر .

لورينزو : وما هناك زوج فى كل هذه الدنيا يعادلنى فى القدر .

(١) هنا يتظاهر لانسلوت بفهم قولة لورينزو على أنها أمر منه بتغطية الرأس (أى ليس القبة) ، وهو ما لا يجوز للخدام فعله فى حضرة سيده .

جيسيكا : إسألنى أنا عن ذلك .

لورينزو : سأسألك بعد قليل . ولكن لدخول أولاً لتناول العشاء ، فنُخدم شهوتنا إلى الطعام .

جيسيكا : خير لك أن تسمع مديحى قبل إخماد الشهوة !

لورينزو : بل فلنجعل هذا موضوعنا أثناء العشاء . ومهما قلتِ عندئذ فسألتهمه التهاما مع الطعام .

جيسيكا : فإلى التهام المديح والطعام معا إذن !

(يخرجان)

الفصل الرابع

الفصل الرابع

المشهد الأول

إحدى المحاكم بالبندقية

(يدخل الدوق ، وكبار النبلاء ، وأنطونيو ، وبسانيو ، وجراشيانو
وساليريو ، وآخرون)

الدوق : أنطونيو هنا ؟

أنطونيو : هنا يامولاي .

الدوق : إنني أسف من أجلك . فأنت تواجه تهمة خصم له قلب من حجارة ،
خال من الإنسانية ، مجرد من الإحساس بالشفقة ، عارٍ من أدنى مسحة
من الرحمة .

أنطونيو : وصلني أن فخامتكم قد بذلتم جهدًا كبيرًا في سبيل إثباته عن نيته الرهيبة .
ولكن حيث أنه مصمم على اقتضائه حقه ، وليس ثمة وسيلة قانونية
بوسعها أن تنقذني من برائن غلّه ، فلأني أتذرع بالصبر في مواجهة
حقده ، وأتسلّح به حتى أواجه استبداده وحقده بنفس هادئة .

الدوق : فليمض أحدكم لاستدعاء اليهودي إلى قاعة المحكمة .

ساليريو : إنه بالبواب ، وها هو قادم يامولاي .

(يدخل شاييلوك)

الدوق : أفسحوا مكانًا له حتى يقف قبالتنا . . شاييلوك ، الناس تعتقد ، وكذا

أعتقد أنا ، أنك إنما تتظاهر بكل هذا الحقد ، وستظل تتظاهر به حتى قرب النهاية ، ثم تُظهر الرحمة والشفقة بصورة أغرب من صورة قسوتك الشاذة البادية . ويقولون إنه بالرغم من مطالبتك الآن بتوقيع العقوبة ، وهى اقتضاء رطل من لحم هذا التاجر المسكين ، فإنك لن تتخلى فقط عن هذه المطالبة ، بل وستستجيب لداعى الرحمة الإنسانية والمحبة ، فتتنازل له عن جزء من أصل الدين ، مشفقاً عليه بسبب خسائره التى قصمت ظهره فى الفترة الأخيرة . إنها خسائر كفيفة بأن تزعزع مركز أعظم التجار شأنًا ، وأن تثير الإشفاق عليه فى أقسى الصدور وأغلظ القلوب ، ولدى الترك والتر العنيدى الذين لم يعرفوا قط واجب المعاملة المتمدينة مع الآخرين . . . وما نحن أيها اليهودى ننتظر منك ردًا جميلًا .

شايلوك : قد سبق لى أن عبرت لفخامتكم عن نواياى ، كما سبق أن أقسمت بالسبب المقدس أنى سأطالب بحقى الذى حلّ أجله . فإن أبيتم إعطائى حقى فالويل لقوانين مدينتكم وحرىاتها ! ستسألوننى لماذا أفضل رطلاً من اللحم على ثلاثة آلاف دوقية . غير أنى لن أجيب . قولوا إنها نزوة منى . أفى هذا إجابة شافية ؟ لنفرض أن فى بيتى فأرا فاخترت أن أنفق عشرة آلاف دوقية فى سبيل الإمساك به . أفى هذا إجابة شافية ؟ من الناس من لا يحب منظر الخنزير المشوى فاغر الفم ، ومنهم من يحب جنونه إن لمح قطعة ، ومنهم من إذا سمع موسيقى القرب بال على نفسه . فمبولنا كثيراً ما نتحكم فى عواطفنا فتحدد لنا ما نحب وما نكره . والآن أجيب على سؤالكم : حيث أنه ما من سبب قوى وراء كراهية هذا لمنظر الخنزير فاغر الفم ، أو ذاك لقطعة تنفع ولا تضر ، أو ذاك لقربة من صوف ، وهى كراهية تضطربهم إلى معاناة عار مؤكد من جراء تصرف يضايق الناس مثلما يضايقهم هم أنفسهم ، فكذلك أنا ، ليس بوسعى أن أجيب على سؤالكم ولن أجيب عليه . وإنما هى كراهية دينية وبغض أحملهما لأنطونيو ، ويدفعانى إلى المضى فى قضية ضده فيها خسارة لى . أفى هذا إجابة شافية ؟

بسانيو : ليست إجابة شافية أيها الإنسان الخالى من الإحساس ، ولا إجابة تبرر قسوتك .

شايلوك : لست مضطراً إلى إرضائك بإجاباتى .

بسانيو : هل يقتل الناس كل ما لا يحبون ؟

شايلوك : هل يكره الناس شيئاً ولا يحبون قتله ؟

بسانيو : ما كل إساءة بداعٍ إلى الكراهية .

شايلوك : أتقبل إذن أن تُلدغ من الجحر مرتين ؟

أنطونيو : أرجوك أن تتذكر أنك إنما تجادل يهوديًا . وهو ما يباثل وقوفك على ساحل البحر طالبا من المد ألا يبلغ ارتفاعه المألوف ، أو سؤالك الذئب لم تسبب فى بكاء النعجة على الحمل ، أو تحذيرك لأشجار الصنوبر الجبلية من أن تهتز رؤوسها أو أن يصدر حفيف منها إذا هبت عليها عواصف السماء . . . بوسعك أن تنهض بأمر مهما بلغت صعوبته إلا أن ترقق من قلبه اليهودى الذى لا يعادله قلب فى قسوته . ولذا فإنى أتوسل إليكم ألا تبدلوا أى جهد آخر ، وألا تلجأوا إلى أية وسيلة أخرى ، وأن تختصروا الإجراءات وتصدروا مباشرة حكمكم على ، حتى ينال اليهودى غرضه .

بسانيو : هذه ستة آلاف دوقية مقابل آلاف الثلاثة .

شايلوك : لو أن كل دوقية من هذه الآلاف الستة تحولت إلى ستة أجزاء ، كل جزء منها دوقية ، لما أخذتها ، ولظلت أطالب بتنفيذ شروط العقد .

الدوق : كيف سيكون إذن بوسعك أن تطلب لنفسك الرحمة وأنت لا ترحم الآخرين ؟

شايلوك : وأى حكم أخافه ولم أرتكب خطأ ؟ إن لديكم عبيداً كثيرين اشتريتموهم بأموالكم ، وتعاملوهم معاملة الحمير والكلاب والبغال ، وتستخذموهم للقيام بواجبات مهينة قدرة لمجرد أنكم اشتريتموهم . فهل من حقى أن أقول لكم : « حرّوهم ! زوّجوهم من ورثكم ! لماذا تسمحون بأن

يرزحوا تحت أعبائهم وأن يتصّبوا عرقاً ؟ فلتكن أسرّتهم ناعمة كأسرّتكم ،
وطعامهم شهياً كطعامكم ! » ؟ ستجيبوننى بقولكم : « العبيد عبيدنا » .

وكذا أجيبكم . فطل اللحم الذى أطلبه به قد بذلت فيه ثمناً غالياً .
فهو لى إذن ، وسأخذه . فإن أبيتُم فاللعنة على قوانينكم ، قوانين
البندقية التى لا تطبّق . إنى أطلب بالعدالة . أجيبونى : هل سألها ؟

الدوق : من حقى أن أصرف هذه المحكمة ، وسأصرفها ما لم يحضر إلينا اليوم
العلامة بيلاريو الذى أرسلت فى طلبه لحسم القضية .

ساليريو : مولاي ! فى الخارج رسول يحمل خطابات من ذلك العلامة ، وقد وصل
لنوّه من بادوا .

الدوق : هاتنا بالخطابات واستدع الرسول .

بسانيو : هوّن على نفسك يا أنطونيو واستجمع شجاعتك يارجل . وأعاهدك ألا
تفقد قطرة واحدة من دمك قبل أن يظفر اليهودى منى بدمى ولحمى
وعظامى وكل شىء آخر .

أنطونيو : ما أنا إلا كالشاة الموبوءة من دون القطيع أجمعه ، فلم أعد أصلح لغير
الموت . إن أضعف الثمار أسرعها سقوطاً من الشجرة . وهكذا أنا . وإن
أفضل ما يمكنك صنعه يابسانيو هو أن تبقى على قيد الحياة لتكتب نعى
على قبرى .

(تدخل نيريسا متنكرة فى زى كاتب المحامى)

الدوق : أقادم أنت من بادوا من طرف بيلاريو ؟

نيريسا : من بادوا ومن طرف بيلاريو يامولاي . (تقدم إليه خطاباً) . وبيلاريو
يبحث إلى مولاي بتحياته .

بسانيو : لم تشخذ سكينك بهذه الهمة ؟

شايلوك : لأقطع حقى من ذلك المفلس هناك .

جراشيانو : أنت لا تشخذ السكين على نعلك أيها اليهودى القاسى وإنما تشخذ

على روحك . وما لأى معدن ولا حتى فأس الجلابد ما لحقك من حدة .
أما بوسع أى توسل أن ينفذ إلى قلبك ؟

شايلوك : لا . لن ينفذ إلى قلبى أى ابتكار لفطنتك .

جراشيانو : عليك اللعنة أيها الكلب المقيت ! لقد أخطأت العدالة إذ سمحت لك
بالعيش حتى الآن . وإنك لتكاد تفتننى عن دينى فأعتنق رأى فيثاغورس
القائل بأن أرواح الحيوانات تنتقل للسكنى فى أجسام الأدميين . فما
روحك الشريرة غير روح ذئب شقوه لقتله آدميا ^(١) ، ثم طارت من
المنشقة لتنتقل إليك وأنت فى بطن أمك العاهرة . ودليل على ذلك أن
رغائبك كلها رغائب دموية جائعة مفترسة كـرغائب الذئب .

شايلوك : ما دمّت عاجزاً بسبابك عن إزالة الخاتم عن صكى ، فما تؤذى بصراخك
غير رثيتك . فحافظ على عقلك إذن أيها الشاب الطيب وإلا أصابه
عطب لا شفاء منه . وأنا هنا إنما أطلب بتطبيق القانون .

الدوق : هذا الخطاب من بيلاريو يوصى محكمتنا بالاستماع إلى فقيه علامة شاب . .
أين هو ؟

نيريسا : ينتظر قريباً من هنا حتى يسمع ما إذا كنتم ستأذنون له بالدخول .

الدوق : بكل سرور . ليذهب ثلاثة أو أربعة منكم للترحيب به واصطحباه إلى
مكاننا . (يخرج بعض موظفى المحكمة) وستستمع المحكمة فى هذه
الأنثناء إلى نص رسالة بيلاريو . (يقرأ) :

« أحيط فخامتكم علماً بأن خطابكم وصلنى وأنا فى فراش المرض . غير
أن لحظة وصول رسولكم صادفت وجود فقيه شاب من روما ، واسمه
بالتازار ، جاء ليسعدنى بزيارته . وقد شرحت له قضية الخلاف بين
اليهودى وبين التاجر أنطونيو ، ثم شرعنا نقلب الكتب سوياً . وقد

(١) كانت الحيوانات المفترسة تحاكم أحياناً وتُعدم فى أوروبا لافتراسها آدميين ، وذلك حتى أواخر
القرن السابع عشر .

زوّدته برأى ، فعدّل منه بفضل علمه الواسع ، وهو علم لا أستطيع أن أوفيه حقه من المديح . وقد ألححت عليه أن ينقل إليكم نيابة عنى هذا الرأى الذى طلبتموه . وأملى ألا يحول صغر سنه دون نياله ما هو أهل له من الاحترام والتقدير . ذلك أنى لم أعرف فى حياتى إنسانا مثله يجمع بين نضارة الشباب وحكمة الشيوخ . لذلك أتعثم أن يلقى لديكم قبولا حسنا ، واثقا من أن اختباركم إياه سيعزز من تقديركم له .

(تدخل بورشيا متنكرة فى صورة الدكتور بالتازار ، يتبعها موظفو المحكمة)

قد استمعتم إلى ما كتبه بيلاريو . وأعتقد أن هذا هو الفقيه قد وصل . ناولنى يدك أضافحك . أقدمت من عند بيلاريو ؟

بورشيا : أجل يامولاي .

الدوق : مرحبا بك . . خذ مكانك . أعيط أنت بتفاصيل النزاع الذى تنظره هذه المحكمة الآن ؟

بورشيا : أحطت بتفاصيل القضية كلها . أيها التاجر هنا ، وأيها اليهودى ؟

الدوق : ليتقدم كل من أنطونيو وشايلوك .

بورشيا : إسمك شايلوك ؟

شايلوك : شايلوك هو اسمى .

بورشيا : لقضيتك طابع غريب . غير أن قوانين البندقية لا تملك أن تمنعك من السير فى إجراءاتها . . وأنت ! أنت الواقع تحت رحمته ؟

أنطونيو : كذا يقول .

بورشيا : أتعترف بصحة هذا الصك ؟

أنطونيو : نعم .

بورشيا : فلزام على اليهودى إذن أن يكون رحيما .

شايلوك : ما الذى يلزمنى بذلك ، خبرنى ؟

بورشيا : لا دخل للإلزام فى مشاعر الرحمة . فهى تهبط من السماء كالرذاذ بل ما تحتها . وهى تبارك الطرفين معا : من كان مصدرها ومن كان موضعها . وهى تبدو فى أقوى صورها فى أقوى الناس ، فتزين الملك على عرشه أكثر مما يزينه تاجه . قد يكون صولجانه رمزاً لسلطته الدنيوية والهابته وجلالته ؛ فهو مصدر خشية الناس وخوفهم من الملوك . أما الرحمة فأعلى شأننا من التاج والصولجان . إنها تجلس على عرش قلب الملك . وهى من صفات الله نفسه ، مما يجعل فى السلطة الدنيوية شبهة بقلوة الله حين تجلّل الرحمة العدالة . . وحيث أنك أيها اليهودى تطالب بتحقيق العدالة ، فإنى أريدك أن تدبّر هذه الحقيقة : وهى أننا إن التزمنا بالعدالة وحدها فلن يكتب لأحد منا الخلاص . إننا فى دعائنا نطلب لأنفسنا الرحمة . وهذا الدعاء ذاته يعلمنا واجب الإشفاف على الآخرين . وما أطلت حديثى هذا إلا لأحد من مغالاتك فى المطالبة بتطبيق العدالة . ذلك أنك إن مضيت فى طريقك هذا فلن تمهد هذه المحكمة الصارمة هنا فى البندقية مفرا من الحكم ضد ذلك التاجر الواقف هناك .

شايلوك : أنا المسئول وحدى عن تصرفاتى . أريد تطبيق القانون وتوقيع العقوبة وتنفيذ أحكام العقد .

بورشيا : أما فى وسعه أن يسدّد الدين ؟

بسانيو : بل بمقدوره . وها أنا أسدّده نيابة عنه فى قاعة هذه المحكمة . بل أدفع ضعف المبلغ ، فإن لم يكفه فأنا على استعداد لأنه ألزم نفسه بدفع عشرة أضعافه بضمان يداى ورأسى وقلبى . فإن لم يرضه ذلك فسبكون واضحا أن الحق كانت له الغلبة على الأمانة . وإنى لأنوسل إليكم أن نستخدموا سلطانكم ولو مرة واحدة لتعطيل القانون ، وتقبيد إرادته هذا الشيطان المرید . فلا شك فى أنه لابد من بعض الظلم من أجل تحقيق الخير الكبير .

بورشيا : هذا لا يجوز . فما من سلطة فى البندقية تسمحها أن نعت بالملوك مستقر ،

وإلا شكّل ذلك العبث سابقة تعرف الدولة بعدها مزيدًا من خرق القوانين . هذا أمر لا يجوز .

شايلوك : هو دانيال نفسه قد أتى ليحكم ! أجل ، إنه دانيال بعينه ! ألا ما أجدرك بالتكريم أيها القاضى الشاب الحكيم !

بورشيا : أرينى الصك لو سمحت .

شايلوك : ها هو ذا أيها الفقيه الموقر . هاك الصك .

بورشيا : شايلوك ، إنهم يعرضون عليك ثلاثة أضعاف المبلغ .

شايلوك : لقد أقسمت ، أقسمت ، أقسمت بالله . فهل أحتن بيمينى فأهلك ؟ لا وحقك وإن وضعوا البندقية بأسرها فى يمينى .

بورشيا : نعم لقد أخلّ التاجر بشروط الصك ، ولليهودى حق قانونى فى المطالبة برطل من اللحم يقطععه من أقرب موضع إلى قلب التاجر . . كن رحيما يا شايلوك . خذ ثلاثة أضعاف المبلغ واسمح لى أن أمزق الصك .

شايلوك : سأسمح بذلك بعد تنفيذ بنوده . . إنه ليلدو لى أنك قاض حصيف . فأنت تعرف القانون جيدًا ، وكان عرضك له ممتازًا . ولذا فإنى أطلبك باسم القانون - وأنت العمدة الضليع فيه - أن نواصل متابعة القضية ، وأقسم بروحى أنه ما من قوة فى لسان مخلوق أن تحولنى عن رأى . . وأنا هنا متمسك بحقى .

أنطونيو : من كل قلبى أتوسل إلى المحكمة أن تنطق بالحكم .

بورشيا : إن كان الأمر كذلك فلتعدّ صدرك لاستقبال سكينه .

شايلوك : ما أنبلك من قاض ، وما أعظمك أيها الشاب !

بورشيا : فبمقتضى نص القانون يجب توقيع العقوبة المتفق عليها فى بنود الصك .

شايلوك : ما من شك فى ذلك . ألا ما أحكمك وأعدلك أيها القاضى . الظاهر أنك أكبر سنا بكثير مما توحى به ملاحك .

بورشيا : إكشف إذن عن صدرك .

شايلوك : نعم . صدره . كذا يقول الصك . أليس كذلك أيها القاضى النبيل ؟ « من أقرب موضع إلى قلبه » ، كذا يذكر النص حرفيا .

بورشيا : هو ذاك . أهنا ميزان لوزن اللحم ؟

شايلوك : قد أعددت الميزان .

بورشيا : ولنستدع جراحا على نفقتك يا شايلوك ليوقف نزف جراحه حتى لا يموت .

شايلوك : أهذا مذكور فى الصك ؟

بورشيا : لا . ولكنك تحسن صنعا إن فعلت ذلك من قبيل الشفقة .

شايلوك : لا أجد هنا هذا الالتزام . ليس مذكورًا فى الصك .

بورشيا : وأنت أيها التاجر ، ألدريك ما تريد قوله ؟

أنطونيو : بضع كلمات . إننى مستعد لمواجهة مصيرى وأنا هادئ البال . ناولنى يدك يا بسانيو . وداعًا . لا تحزن إذ أصابنى ما أصابنى بسبيك . فالقدر بذلك قد أثبت أنه أرحم مما هو فى العادة . فهو فى العادة يمدّ من عمر البائس بعد فقدانه لثروته حتى يواجه سنوات طويلة من الفقر بعين غائره وجبين ملأته التجاعيد . وقد شاء القدر فى حالتى أن يجنبنى طول احتمال مثل هذا العذاب . . أبلغ زوجتك الكريمة تحياتى ، وقص عليها تفاصيل نهاية أنطونيو . . خبئها بمدى حبى لك ، واذكرنى بالحلم بعد موتى . حتى إذا ما انتهيت من قصتك دعها تحكم بنفسها ما إن كان لك فى وقت ما صديق يحبك . . لا تأسف إلا على فقدانك الصديق . فإن أطعت فلن يأسف الصديق على تأدية الدين نيابة حك . فلم أن سكين اليهودى وصل إلى قلبى فسيهيج قلبى أن أحلم بأن الذئب قد سدد .

بسانيو : لى يا أنطونيو زوجة أحبها حبى للحياة دأها . هم أن الحياة وذو حلى . والدنيا بأسرها لا تساوى فى نظرى حانك أنت . وإلى لعل استعداه

لقد كل شيء ، بل وللتضحية بكل هذا في سبيل أن يترك هذا الشيطان وشأنك .

بورشيا : لو أن زوجتك هنا وسمعت هذا العرض منك ، لما أسعدها ذلك .

جراشيانو : ولى أنا زوجة أحبها . ومع ذلك فليتها كانت في العالم الآخر حتى تتوسل إلى أحد الكائنات السماوية أن يجعل اليهودى يتحول عن قراره .

نيريسا : أحسنت إذ تعبر عن أمانيك من وراء ظهرها ، وإلا لكان أصاب حياتكما معاشر .

شايلوك : تفرجوا على هؤلاء الأزواج المسيحيين ! إن لى ابنة أفضل لها أن تتزوج يهوديًا من نسل باراباس اللص^(١) ، على أن تتزوج من مسيحي . . غير أننا نضيق الوقت . رجائي إذن إصدار الحكم .

بورشيا : من حقت اقتطاع رطل لحم من جسد التاجر المذكور . المحكمة تسمح بذلك ، والقانون يؤيده .

شايلوك : حكمت فعدلت !

بورشيا : وعليك أن تقتطع اللحم من صدره . . القانون يجيز ذلك والمحكمة تؤيده .

شايلوك : إنك لقاض علامة ! قد صدرالحكم . هيا فلتستعد .

بورشيا : إنتظر لحظة ، فهناك شيء آخر . هذا الصك لا يجيز لك أن تأخذ قطرة واحدة من الدم . فنص الكلمات هو « رطل من اللحم » . نفذ إذن شروط الصك وخذ الرطل من اللحم . غير أنك إن أرقط أثناء اقتطاعك إياه قطرة واحدة من دم مسيحي ، صودرت أملاكك وبضائعك بمقتضى قوانين البندقية ، وأضحيت ملكا للدولة .

(١) هو اللص الذى خبّر بيلاطس اليهود بين إطلاق سراحه وإطلاق سراح المسيح ، فاختراروا إطلاق سراح باراباس .

جراشيانو : يالك من قاض عادل ! أليس كذلك أيها اليهودى ؟ يالك من قاض علامة !

شايلوك : أهكذا يقول القانون ؟

بورشيا : ستقرأ بنفسك المادة . فحيث أنك تلح في طلب تطبيق القانون ، فتأكد أن تطبيقه سيكون أكثر مما تحب .

جراشيانو : يالك من قاض علامة ! أليس كذلك أيها اليهودى ؟ قاض علامة !

شايلوك : سأقبل إذن ما عرض على . هاتوا ثلاثة أضعاف قيمة الدين وليطلق سراح المسيحي .

بسانيو : هاك المال .

بورشيا : انتظر ! بل سينال اليهودى حقه القانونى . انتظروا ولا تعجلوا . لن يأخذ غير ما نص عليه الصك .

جراشيانو : هو قاض عادل أيها اليهودى . قاض علامة !

بورشيا : فلتستعد إذن لاقتطاع اللحم . لا تسفك دما ولا تقتطع أقل أو أكثر من رطل واحد من اللحم . فإن أنت أخذت أكثر أو أقل من رطل بالضبط ، ولو بمقدار جرام واحد ، بل ولو بمقدار واحد على عشرين من الجرام ، بل ولو بمقدار شعرة واحدة يتحرك لها الميزان ، فيحكم عليك بالموت وبمصادرة كل ما تملك .

جراشيانو : إنه دانيال الجديد ! دانيال أيها اليهودى . الآن قد وقعت في أيدينا أيها الكافر !

بورشيا : لماذا يتردد اليهودى ؟ خذ حقت .

شايلوك : أعطونى أصل الدين ودعونى أنصرف .

بسانيو : المبلغ جاهز عندى . إليك هو .

بورشيا : لقد رفضه أمام المحكمة . ولن يأخذ غير ما نص به القانون وبصر عليه الصك .

جراشيانو : هو دانيال دون شك . دانيال الجديد . شكرا لك أيها اليهودى لتعليمك إياى هذه الكلمة .

شايلوك : ألا يُسمح لى باسترداد مجرد قيمة الدين ؟

بورشيا : لن يسمح لك بغير رطل اللحم تأخذه على مسئوليتك أيها اليهودى .

شايلوك : حسنا إذن . فليبارك له الشيطان فيه ! ولن أنتظر نهاية المحاكمة .

بورشيا : انتظر أيها اليهودى . فثمة أمر آخر فى القانون يتعلق بك . ذلك أن قوانين البندقية تنص على أنه إذا ثبت أن أجنبيا حاول - بشكل مباشر أو غير مباشر - أن يسلب حياة أحد مواطنيها ، فللشخص الذى تمت المحاولة ضده نصف ممتلكات المعتدى ، ويؤول النصف الثانى إلى خزانة الدولة ، ويضحي للدوق وحده دون أى طرف آخر أن يقضى بإعدام المعتدى أو إخلاء سبيله . وإنما ذكرتُ أن هذا القانون يسرى عليك لأنه من الواضح أنك قد حاولت بوسائل غير مباشرة ، بل وبوسائل مباشرة أيضًا أن تسلب المدعى عليه حياته ، وهو ما يدخل تحت طائلة قانون العقوبات المذكور آنفا . إركع إذن واطلب الرحمة من الدوق .

جراشيانو : توصل إليه أن يأذن لك بأن تشنق نفسك . ولكن ، حيث أن ثروتك آلت إلى الدولة ، فلن يكون لديك الآن ما يكفى لشراء حبل ، وهو ما يعنى أنك ستشنق على نفقة الدولة .

الدوق : لكى ترى الفارق بيننا وبينك ، سأطلق سراحك من قبل أن تطلب منى ذلك . أما عن ثروتك فإن نصفها يؤول إلى أنطونيو ، ويؤول نصفها الثانى إلى خزانة الدولة ، ما لم تقدّم التماسا باستبدال الغرامة بالمصادرة .

بورشيا : هذا عن النصف الثانى لا النصف الذى سيؤول إلى أنطونيو .

شايلوك : بل فلنأخذوا حياتى وكل شىء لى ، فلا أريد عفوكم . إنكم تأخذون منى منزلى إذا أخذتم الدعامة التى يستند منزلى إليها ، وتأخذون حياتى إذا أخذتم منى ما أتعيش به .

بورشيا : فما الذى يمكنك يا أنطونيو أن تقدمه إليه من قبيل الشفقة عليه ؟

جراشيانو : قدّم له حبلا بالمجان ، ولا شىء آخر أرجوك .

أنطونيو : إذا قبل سيدى الدوق وهيئة المحكمة أن يعفى النصف الثانى من ممتلكاته من المصادرة أو الغرامة ، فإنى أقبل إدارة النصف الأول واستغلاله ، على أن أسلمه بعد وفاته إلى الرجل الذى تزوج مؤخرا من ابنته دون رضا . كل هذا بشرطين : أن يعتنق المسيحية مقابل هذا الفضل منى ، وأن يوقع على عقد هبة هنا فى المحكمة يقضى بترك كل ما يملكه عند وفاته لابنته وزوجها لوريثزو .

الدوق : فإن لم يفعل هذا تراجعت عن العفو الذى أصدرته هنا عنه منذ لحظات .

بورشيا : أتقبل هذا أيها اليهودى ؟ ما قولك ؟

شايلوك : أقبل .

بورشيا : حرّر أيها الكاتب عقد هبة .

شايلوك : أرجوكم أن تسمحوا لى بالانصراف من هنا ، فقد أصابتنى وعكة . أرسلوا العقد لى فى منزلى فأوقع عليه .

الدوق : إنصرف إذن ، وحذار ألا توقع عليه .

جراشيانو : ستحتاج عند تعميدك إلى شاهدين . ولو كنتُ أنا القاضى لقضيتُ بتعيين عشرة آخرين حتى يحكموا بشنقك لا بتعميدك^(١) .

(يخرج شايلوك)

الدوق : سيدى ، أرجوك أن تقبل الدعوة إلى تناول العشاء معى فى دارى .

بورشيا : أرجوك أن تعفينى . فعلى أن أسافر الليلة إلى بادوا ، والواجب أن أتحرك الآن .

الدوق : آسف إذ لا يسمح وقتك بهذا . أنطونيو ! عليك بمكافأة هذا السيد ، ففى اعتقادى أنك مدين له بالكثير .

(يخرج الدوق وحاشيته)

(١) تعيين عشرة آخرين : حتى يصبح العدد ١٢ وهو عدد هيئة المحلفين فى المحكمة .

بسانيو : سيدى الفاضل ، لقد أنقذتني وأنقذت صديقى بحكمتك وجنتنا متاعب خطيرة . فاسمح لنا بأن نكافئك على جهودك الحميدة بمبلغ الثلاثة آلاف دوقة المستحقة لليهودى .

أنطونيو : وسنظل مدينين لك علاوة على ذلك بحبنا وخدماتنا مدى الحياة .

بورشيا : رضا المرء عن عمله هو خير مكافأة له عليه . وإذ أنا راض عن جهدى لإنقاذك ، فإننى أعتبر هذا الرضا جزاءً وافيًا ، علما بأننى ما كنت فى الماضى أتوقع مكافأة على عمل لى مثليا توقعت هذه المرة . . . تذكرانى إن نحن التقينا مرة أخرى . تمنياتى الطيبة لكما ، وإلى اللقاء .

بسانيو : سيدى العزيز ، إننى لأجده لزاما على أن أحاول مرة أخرى إقناعك ولو بقبول تذكار صغير منا ما دمت لا تقبل الأجر . وإننى لأرجوك أن تسعدنى بأمرين : ألا ترفض عرضى ، وأن تغفو عني .

بورشيا : ما دمت تلح على فسأقبل . (لأنطونيو) أعطنى قفازك وسألبسه من قبيل الذكرى . (لبسانيو) ومن قبيل مبادلتك الودّ سأخذ هذا الخاتم منك . . . لم تسحب يدك هكذا ؟ لن آخذ أكثر من هذا الخاتم . ولا أظنك تضمن على به رمزاً لمودتك .

بسانيو : هذا الخاتم ياسيدى ؟ إنه للأسف خاتم رخيص الثمن أخجل من أن أقدمه هدية لك .

بورشيا : لن آخذ غيره . وأظننى قد بثت مصرة على نيله .

بسانيو : لهذا الخاتم أهمية عندى تتجاوز ثمنه . وإننى لعلى استعداد أن أقدم لك أثنى خاتم فى البندقية ، وأن أبعث رسلى فى طلبه ، على أن تغفر لى احتفاظى بهذا .

بورشيا : أراك ياسيدى سخيا بوعودك . علّمتنى أولا أن أتوسل ، وها أنت تعلمنى فيما يبدو كيفية الرّد على المتوسّل .

بسانيو : سيدى ، هذا الخاتم أعطتنى زوجتى إياه . وقد جعلتنى وهى تضعه فى إصبعى أقسم بأننى لن أبيعته ولن أهبه ولن أضيعه .

بورشيا : كثيرون من الرجال يعتذرون بهذا العذر من أجل الاحتفاظ بما يملكون . فإن كانت امرأتك عاقلة وعرفت أى جهد أستحق من أجله هذا الخاتم ، فلن يطول أمد غضبها عليك إذ أعطيتنى إياه . . . حسنا . . . إلى اللقاء إذن .

(تخرج بورشيا ونيريسا)

أنطونيو : أعطه الخاتم ياعزيزى بسانيو . فلاشك أن جدارته ومودتى يرجحان أمر زوجتك .

بسانيو : أسرع يا جراشيانو والحق به واعطه الخاتم . . . حاول أيضًا أن تأتى به إلى منزل أنطونيو . هيا أسرع !

(يخرج جراشيانو)

هيا نذهب معا إلى دارك الآن ، وفى الصباح الباكر نظير سويا إلى بلمونت . هيا يا أنطونيو .

(يخرجان)

المشهد الثانى

البندقيّة

(تدخل بورشيا ونيريسا)

بورشيا : استفسرى عن مكان بيت اليهودى ، وأعطيه هذا العقد واطلبى منه أن يوقع عليه . سنسافر هذه الليلة ، فنصل قبل وصول زوجينا بيوم واحد . لاشك فى أن لورينزو سيسرّ هذا العقد .

(يدخل جراشيانو)

جراشيانو : يسرنى أن استطعت اللحاق بك ياسيدى . لقد أعاد مولائى بسانيو التفكير فى الموضوع وقرر إرسال الخاتم إليك ، راجيا منك قبول دعوته إلى العشاء معه .

بورشيا : لن أتمكن للأسف من قبول الدعوة . أما الخاتم فأقبله شاكرة ممتنة . خبره بذلك . ورجائى أيضًا أن تدلّ غلامى على موقع دار شاييلوك العجوز .

جراشيانو : سأفعل .

نيريسا : (لبورشيا) أريد كلمة معك ياسيدى . (جانباً) سأرى ما إذا كان بمقدورى أن آخذ خاتم زوجى الذى جعلته يقسم أن يحافظ عليه .

بورشيا : لتفعلى . وقد تنجحين . وعندئذ سيقسمان لنا أنها إنما أعطيا الخاتمين لرجلين ، فتتحداهما ونقسم من جانبنا أنها كاذبان . . أسرعى إذن بالذهاب . وأنت تعرفين المكان الذى سأنتظرك عنده .

نيريسا : (لجراشيانو) هيا ياسيدى ، ودلّنى على منزله . (يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

بلمونت - بستان أمام دار بورشيا

(يدخل لورينزو وجيسيكا)

لورينزو : القمر يتلألأ نوره . . . في ليلة كهذه ، حين كانت النسائم الهادئة تطبع قبلتها الرقيقة على خدّ الأشجار دون ما صوت أو حفيف ، تسلق ترويلوس أسوار طروادة ، مصوّبا النظر وهو يتنهد في حرقة إلى معسكر الإغريق حيث كانت كريسيда تقضى ليلتها^(١).

جيسيكا : في ليلة كهذه ، كانت ثيسبي تخطو على الأرض المبتلة بالندى وهي خائفة مذعورة ، فلمحت خيال الأسد من قبل أن يبدو لها ، فأصابها الوجل ولاذت بالفرار^(٢).

لورينزو : في ليلة كهذه وقفت ديدو على ساحل البحر صاخب الأمواج وهي

(١) ترويلوس ، في الأساطير الإغريقية ، أحد أبناء بريام ملك طروادة ، وكان شديد الحب لكريسيدا التي كانت تخونه .

(٢) ثيسبي ، في الأسطورة الآسيوية ، حبيبة بيراموس البابلي وجارته . اعترض أبواهما على زواجهما فاتفقا على الهرب . وإذ كانت ثيسبي في طريقها إلى مكانه أزعجها أسد ففرت تاركة وراءها وشاحا لونه الأسد بالدماء ، فلما عثر عليه بيراموس ظن أن الأسد قد فتك بها فقتل نفسه بسيفه . ثم أقبلت ثيسبي فأمسكت بالسيف وانتحرت .

تحمل عودا من شجر الصفصاف تلوّح به لحبيبتها حتى يعود إلى
قرطاجنة^(١).

جيسيكا : في ليلة كهذه كانت ميديا تجمع الأعشاب السحرية حتى تعيد بها الشباب
إلى إيسون الشيخ^(٢).

لورينزو : في ليلة كهذه فرت جيسيكا من دار اليهودى الثرى ، تاركة البندقية مع
حبيبها الطائش قادمين إلى بلمونت .

جيسيكا : في ليلة كهذه أقسم لورينزو الشاب أنه يهيم بها ، وسلبها عقلها بالعديد
من عهود الإخلاص والوفاء ، وما كان صادقا في أى عهد منها .

لورينزو : في ليلة كهذه أساءت جيسيكا الجميلة الماكرة الظن بحبيبها ولكنه ساعدها .
جيسيكا : بوسعى أن أغلبك الليلة في هذه المساجلة لو أننا ظللنا وحدنا . غير أنى
أسمع ديبب أقدام رجل يقصدنا .

(يدخل رسول هو ستيفانو)

لورينزو : من القادم مسرعا هكذا في هذا الليل ؟

ستيفانو : صديق .

لورينزو : صديق ؟ أى صديق ؟ ما اسمك أيها الصديق ؟

ستيفانو : أدعى ستيفانو ، وقد أتيت لأخبركم أن سيدتى ستصل إلى بلمونت قبل
مطلع الفجر ، وهى الآن تجول بين صلبان مقدسة تركع عندها وتدعو أن
يمن الله عليها بحياة زوجية سعيدة .

لورينزو : من يأتى معها ؟

(١) ديدو ، في الأساطير الرومانية ، مؤسسة قرطاجنة وملكها . يروى فيرجيل في الإنيادة أخبار
حبها لإينياس ثم بأسها من حبه حين سافر وتركها فانتحرت .

(٢) ميديا ، في الأساطير الإغريقية ، هى أميرة كولشيس . اشتهرت بالسحر ، وعازنت جيسون في
الغور على الجزة الذهبية ، ثم استعانت بأعشاب سحرية لرذ الشباب إلى والد جيسون .

ستيفانو : ما من أحد غير راهب مقدس ووصيفتها . ولكن خبرنى من فضلك :
هل عاد سيدى ؟

لورينزو : لا عاد ولا جاءتنا أخبار منه . ولكن ، هيا بنا ندخل يا جيسيكا لنعد
استقبالا حافلا لسيدة الدار .

(يدخل القروى لانسلوت)

لانسلوت : صولا صولا ! ووها هو ! صولا صولا^(١) !

لورينزو : من ينادى ؟

لانسلوت : صولا ! هل رأيت السيد لورينزو ؟ ياسيد لورينزو ! صولا صولا !

لورينزو : كفك صراخا يا رجل ! ها أنا ذا .

لانسلوت : صولا ! أين ؟ أين ؟

لورينزو : هنا !

لانسلوت : أخبره أن رسولا قد وصل من لدن سيدى يحمل في جعبته أنباء كثيرة
سارة . وسيصل سيدى إلى هنا قبل طلوع الصبح . (يخرج)

لورينزو : لندخل إذن يا حبيبتى الدار لانتظارهم فيها . لا . ما بنا من حاجة إلى
الدخول . أدخل أنت يا صديقى ستيفانو وخبرهم في الدار أن سيدتك
على وشك الوصول ، واطلب من الموسيقيين أن يأتوا هنا في الهواء الطلق .
(يخرج ستيفانو) .

ما أجمل ضوء القمر على هذه الضقة ! لنجلس هنا ، وندع نغمات
الموسيقى تداعب آذاننا . فالليل والسكون الجميل هما خير ما يناسب
الموسيقى العذبة . . إجلسى يا جيسيكا ، وانظرى كيف رُصعت أرضية
الساء بأشكال من الذهب البراق . . إنه ما من كوكب مهما صغر حجمه
مما ترينه إلا ويغنى أثناء حركته كالملاك الذى يبعث أنغامه إلى أسماع

(١) نداء يتنادى به الصيادون أثناء القنص .

الملائكة الصغار . مثل هذا الانسجام تعرفه الأرواح الخالدة . فإن
أطبقت عليها أجسادنا الفانية الغليظة المخلوقة من طين ، سلبتنا القدرة
على سماعه .

(يدخل ستيفانو مع الموسيقيين)

هيا ! تعالوا فأيقظوا ديانا بأنغامكم ، واعزفوا حتى تصل ألحانكم إلى
أسماع سيدتكم فتهدئها الموسيقى إلى بيتها .

(تعزف الموسيقى)

جيسكا : دائما أشعر بالمرح يفارقني عند الإستماع إلى لحن عذب .

لورينزو : ما ذاك إلا لأنك تستمعين إليه وعقلك متوثب متحفز . يكفي أن تلاحظي
قطيعا من الحيوانات البرية الهائمة ، أو جنسا من الخيول الصغيرة التي لم
يركبها بشر ، تقفز كالمجنونة وتسهل سهيلا يصم الأذان ، وقد هاجت
الحرارة الغريزية في دماغها ، حتى إذا ما سمعت صوت بوق ، أو وصلت
إلى أذانها أنغام من الموسيقى ، رأيتهما وقد توقفت جميعها في آن واحد ،
وتحوّلت النظرة الشرسة في عيونها إلى نظرة وديعة ، بفعل سحر
الموسيقى . . لذلك ذهب الشاعر ^(١) إلى أن أورفيوس كان يجذب إليه
الأشجار والحجارة وسيول الماء ، حيث أنه ما من شيء مهما بلغت غلظته
وصلابته وشدته إلا أفلحت الموسيقى في تغيير طبيعته إلى حين .
والإنسان الذي تفتقر روحه إلى الموسيقى ، ولا يهزه الانسجام في الأنغام
العذبة ، خالق بالخيانة والمكر والنهب ، ظلام روحه في مثل ظلام
الليل ، داكن المشاعر مثل إيريبوس ^(٢) ، ولا يجدر بأحد أن يأتمنه .
استمعي إلى اللحن .

(تدخل بورشيا ونيريسا)

بورشيا : الضوء الذي نراه صادر من صالة البيت . كيف يمكن لشمعة صغيرة أن
ترسل أشعتها مثل هذه المسافة البعيدة ؟ وهكذا يسطع العمل الطيب في
ظلمة عالم شرير .

نيريسا : لم نر الشمعة حين كان القمر ساطعا .

بورشيا : وكذا يحجب المجد الأكبر ما دونه في الدرجة . . بوسع نائب الملك أن
يتألق تألق الملك ، حتى إذا ما رجع الملك زال بريقه وتلاشى تلاشى ماء
الجدول الصغير حين يصب في البحر . . أنصتي ! موسيقى !

نيريسا : الموسيقى صادرة من منزلك ياسيدتي .

بورشيا : يخيل لي أنه ما من شيء يمكن وصفه بالجمال إلا بالمقارنة بغيره . ألا ترين
أن الموسيقى بالليل أعذب منها بالنهار ؟

نيريسا : هذا بفضل السكون ياسيدتي .

بورشيا : غناء الغراب مشابه لغناء القُبرة عند من لا يسمع . وفي ظني أن البلبل لو
غنى نهارا حين يصبح الأوز ، لما اعتبر الناس شذوه أجمل من شذو
الصَّغُو . وكمن من الأشياء ازدانت بظهورها في أوانها فحظيت بالمديح
ووصفت بالكمال . صه ! إلهة القمر ترقد مع الراعي إينديميون وتأبى أن
تستيقظ ^(١) !

(تتوقف الموسيقى)

لورينزو : هذا صوت بورشيا ، ما لم تخدعني أذناي .

بورشيا : قد تعرف على كما يتعرف الأعمى على طائر الوقواق من صوته القبيح .

لورينزو : سيدتي العزيزة ، مرحبا بك في دارك .

بورشيا : كنا نصلي من أجل زوجينا ، وندعو لهما بالخير دعاء نأمل أن يستجاب .
هل عادا ؟

(١) إينديميون : في الأسطورة الإغريقية ، راع وسيم عشقته إلهة القمر . وربما ذكرت بورشيا هذا
حين رأت جيسكا نائمة في أحضان لورينزو .

(١) يقصد أوفيد ، الشاعر اللاتيني .
(٢) إيريبوس : موضع الظلمات بين الأرض والجحيم .

لورينزو : لم يُعدا بعد ياسيدتى ، غير أن رسولا جاء يخطرنا بقرب وصولها .
بورشيا : أدخل يانيريسا وأمرى الخدم ألا يذكروا شيئاً عن غيابنا عن الدار . وكذا أنت يالورينزو . وأنت ياجيسيكا .

(صوت نغير)

لورينزو : زوجك يقترب ، فقد سمعت صوت نغيره . . لا تخشى شيئاً ياسيدتى فلنسنا بالنمائم .

بورشيا : لا أرى هذه الليلة في نورها تختلف كثيراً عن النهار ؛ عن نهار عليل صاحب اللون بعض الشيء ، أو عن نهار توارت فيه الشمس .

(يدخل بسانيو وأنطونيو وجراشيانو وأتباعهم)

بسانيو : لو كنا في الجهة المقابلة المظلمة من الأرض وحللت أنت مكان الشمس ، لرأينا نور النهار هناك بأعيننا .

بورشيا : سألعب إذن دور الشمس دون أن أكون امرأة لعوبا ! فالزوجة اللعوب تخلق الزوج الغضوب . ولن أغضب بسانيو منى أبداً . وكل شيء في يد الله على كل حال . مرحبا بك ياسيدى في دارك .

بسانيو : شكراً لك ياسيدتى . هيا ربحى بصديقى . إنه أنطونيو موضوع القضية ، رجل أدين له بالكثير .

بورشيا : إنك خليك بأن يكون لدينا لك بالكثير ، فقد سمعت أنك صرت مدينا بسببه .

أنطونيو : ليس دينى بأكبر مما تم بالفعل سداده .

بورشيا : مرحبا بك ياسيدى في دارنا . وإذ سيكون ترحيبنا بك بالفعل لا بالقول فإننى سأختصر التحية .

جراشيانو : (لنيريسا) قسا هذا القمر أنك تظلميننى . والله ما أعطيته إلا لكاتب القاضى . ولكن حيث أنك يا حبيبتى قد ساء لك هذا فإن أدعو الله أن يخصى هذا الكاتب .

بورشيا : أشجار ولم تمض غير لحظات على وصولنا ؟ ماذا حدث ؟

جراشيانو : تعفنى بشأن خاتم من الذهب ، خاتم زهيد الثمن أعطنى إياه نُقشت عليه عبارة كتلك التى تنقش على مقابض السكاكين : « أحببى ولا تهجرنى » .

نيريسا : لا تحدثنى عن العبارة أو الثمن . لقد أقسمت لى حين أعطيتك إياه أنك لن تخلعه من إصبعك حتى ساعة وفاتك ، وأنه سيدفن معك في قبرك . وقد كان من واجبك ، لا من أجلى ولكن من أجل قسمك ، أن ترعى عهدك فتحتفظ به . . يزعم أنه أعطاه لكاتب القاضى ! وأنا أقسم بالله العظيم أن ذلك الكاتب لا حية له ولن تنبت له لحية ما عاش !

جراشيانو : بل ستنبت له لحية متى بلغ وصار رجلاً يافعاً .

نيريسا : نعم ، شرط أن تتحول المرأة إلى رجل .

جراشيانو : أقسم بيمينى هذه أنى إننا أعطيته لشاب لم يجاوز عمر الصبا ، صبي قصير نحيل ، لا تزيد قامته على قامتك ، هو كاتب القاضى الذى ظل يلح في طلبه أجراً له ، فلم يطاوعنى قلبى على أن أضن به عليه .

بورشيا : سأكون صريحة معك فأقول إنك مخطئ إذ تتخلى بهذه السهولة عن أول هدية تهديها إليك زوجتك ، وتهدى الخاتم الذى أقسمت وأنت تلبسه أن تحافظ عليه وأن يظل ملازماً إصبعك . . لقد أهديت أنا أيضاً إلى حبيبى خاتماً وجعلته يقسم ألا يفارقه . وها هو معنا الآن ، وبوسعى أن أقسم نيابة عنه أنه لن يتخلى عنه ولن يخلعه من إصبعه ولو أعطوه مال الدنيا بأسرها . . لا ياجرأشيانو . قد كنت قاسياً إذ تسببت بفعلتك في إيلام زوجتك . ولو حدث لى مثل ما حدث لها لجن جنونى .

بسانيو : (جانباً) ليت يدى اليسرى قد قُطعت حتى أقسم لها أنى فقدتها وأنا أدافع عن الخاتم !

جراشيانو : لقد أعطى مولاي بسانيو خاتمه للقاضى عندما طلبه منه ، وكان القاضى بالفعل جديراً بأن يناله . ثم جاء هذا الغلام كاتب القاضى

الذى بذل جهدًا في تحرير المحاضر فناشدنى أن أعطيه خاتمى . وما قبل
القاضى ولا كاتبه أجرًا غير الخاتمين .

بورشيا : أئى خاتم ياسيدى ذلك الذى أعطيته للقاضى ؟ أمل ألا يكون الخاتم
هديتى إليك .

بسانيو : لولا خشيتى من أن أضيف الكذب إلى غلطتى لأنكرت ذلك . ولكنك
ترين إصبعى دون خاتم فيه . فقد راح الخاتم .

بورشيا : وكذا أرى قلبك الزائف دون وفاء فيه . قسما بالله لن أشاركك فراشك
حتى أرى الخاتم مرة أخرى .

نيريسا : وأنا أيضًا ، حتى أرى خاتمى مرة أخرى .

بسانيو : عزيزتى بورشيا ، لو أنك عرفت ذلك الذى أعطيته الخاتم ، ولو أنك
عرفت الشخص الذى من أجله أعطيت الخاتم ، ولو أنك عرفت الخدمة
التي أعطيت ثمنًا لها ذلك الخاتم ، وأدركت مدى أسفى وأنا أعطى
الخاتم ، وأنى لم أعطه إلا لأنه أبى أن يقبل غير الخاتم ، لكان من المؤكد
أنك ستخففين من غلواء غضبك .

بورشيا : لو كنت تعرف أنت قيمة هذا الخاتم ، أو حتى نصف جدارة تلك التى
أعطتك الخاتم ، والتزامك الخلقى بالحفاظ على الخاتم ، لما تخلّيت إذن
عن الخاتم . وما أحسب أن هناك رجلًا هو من الهوس أو قلة الذوق
بحيث يصر على أخذ شيء عزيز على رجل آخر ، لو أنك أبيت أن
تعطيه إياه مع شيء من الإصرار . وإنى لأظن نيريسا على حق ، وأكاد
أقسم أنك قد أعطيته لامرأة !

بسانيو : سيدتى ، أقسم بشرفي وبخلاص روحي أننى ما أعطيته لامرأة ، وإنما
لفقيه فى القانون المدنى أبى أن يأخذ منى ثلاثة آلاف دوقية ، وألح فى
طلب الخاتم فأبيت ، مما جعله ينصرف ساخطا ، وذلك بالرغم من أنه
هو الذى أنقذ حياة صديقى العزيز . فما عسأى أن أقوله ياسيدتى ؟ لقد
اضطرتت إلى أن أبعث به إليه وقد أحسست بالحجل وضرورة مرضاته .

ذلك أنى لم أسمع بأن يلوّث نكران الجميل شرفى . فاغفرى لى أى
سيدتى الطيبة ، وأقسم بهذه النجوم المباركة فى سماء الليل ، أنك لو كنت
معنا هناك لناشدنى أن أعطيك الخاتم حتى تدفعيه إلى ذلك الفقيه
الموقر .

بورشيا : لا تدع الفقيه يغرب من دارى ما دام قد حصل على الحلية التى كنت
أحبها والتى أقسمت أنت أن تحتفظ بها نيابة عنى . فإن جاء فسأحذو
حذوك وأكون سخية معه ، لا أضن عليه بشيء أملكه حتى إن كان
جسدى أو فراش زوجى . وإنى لوائقة من أنى سألقاه . فلا تبين ليلة
خارج الدار . وكن فى مراقبتك إيتاى يقظا مثل أرجوس^(١) ، وإلا فإن فى
نيتى متى ما تركت وحدى ، وقسما بشرفى الذى لا يزال حتى الآن ملكا
لى ، أن أضاجع ذلك الفقيه .

نيريسا : وسأضاجع أنا كاتبه ، فاحذر إذن من أن تتركنى وحدى دون رقابة .

جراشيانو : لإفعل إذن ، وسترين أنى إن ضببطت ذلك الكاتب الشاب معك
فسأقصف له قلمه !

أنطونيو : ما أشقانى إذ أكون المسئول عن كل هذه الشجارات !

بورشيا : لا تبتئس ياسيدى ، ومرحبا بك رغم كل ما حدث .

بسانيو : بورشيا ، إغفرى لى زلتى هذه غير المتعمدة . وأقسم لك بمسمع من
هؤلاء الأصدقاء العديدين ، وبعينيك الجميلتين اللتين أرى صورتى
فيهما —

بورشيا : أسمعتم ؟ إنه يرى فى عينى صورتين له ؛ فى كل عين صورة . فاقسم إذن
بشخصيتك المزدوجة أصدقك !

بسانيو : بل فاسمعى . إغفرى له هذه الزلة وسأقسم لك بخلاص روحي أننى لا
أنكث عهدًا أقطعه على نفسى لك .

(١) أرجوس ، فى الأساطير القديمة ، هو الحارس البقظ ذو المائة عين ، إن نام لم يغمض غير اثنتين
منها .

أنطونيو : لقد قدمت جسدى فى يوم ما ضامنا لدينه . ولولا ذلك الشخص الذى أخذ خاتم زوجك لكنث الآن فى عداد الموتى . وها أنا مرة أخرى أقدم روحى ضامنا لالتزام زوجك بعهوده لك .

بورشيا : ما دمت ستكون ضامن فاعطه هذا واطلب منه أن يحافظ عليه لا كالمرة السابقة .

أنطونيو : خذه يابسانيو واحلف أن تحافظ عليه .

بسانيو : يا إلهى ! إنه نفس الخاتم الذى أعطيته للفقيه .

بورشيا : قد أخذته منه . إغفر لى يابسانيو ، فقد ضاجعت الفقيه من أجل الحصول عليه .

نيريسا : واغفر لى ياجراشيانو العزيز ، فقد ضاجعت ليلة أمس ذلك الصبى القصير كاتب الفقيه من أجل الحصول على هذا الخاتم منه .

جراشيانو : أهكذا تلتمسان العشاق وزوجكما قويان متلهفان على الوصال ؟ أبأت لنا قرون قبل أن نكون أهلا لها ؟

بورشيا : لا تفحش فى القول . أراكم تعجبون لما حدث . هاكم رسالة فاقروها حين يسمح وقتكم . إنها من بادوا ، من بيلاريو . ومنها ستكتشفون أن بورشيا هى الفقيه ، وأن نيريسا هى كاتبها . ويشهد لورينزو هنا أنني سافرت بعد رحيلكم مباشرة وأنتى لم أعد إلا الآن ، ولم أدخل بعد دارى . . أنطونيو ، أهلا بك ! وعندى أخبار لك هى أسعد مما تتوقع . فُض هذا الخطاب بسرعة ، وستعرف منه أن ثلاثا من سفنك الضخمة قد وصلت فجأة إلى الميناء تحمل ثروة طائلة . ولن أخبرك بخبر المصادفة الغريبة التى أوصلت هذه الرسالة إلى يدي .

أنطونيو : قد عقلت الدهشة لسانى .

بسانيو : أكنت الفقيه ولم أعرف عليك ؟

جراشيانو : أكنت الكاتب الذى أضاف إلى رأسى قرنين ؟

نيريسا : نعم ، وإن كان لن يضيفها أبدا إلى رأسك ما لم يغد رجلا .

بسانيو : أيها الفقيه العزيز ، ستكون رفيقى فى الفراش ، فإن غبت كان من حقك أن تضاجع زوجتى .

أنطونيو : سيدتى الجميلة ، قد رددت على حياتى وثروتى . فالخطاب هنا يؤكد أن سفنى قد وصلت سالمة إلى الميناء .

بورشيا : أما عنك يالورينزو فإن لدى كاتبى أخبارا سارة لك أنت أيضا .

نيريسا : أجل . ولن أطلب أجرا مقابل إخطاره بها . . هاك أنت وجيسيكا من عند اليهودى الثرى عقد هبة يترك لكما بمقتضاه عند وفاته كافة ما يملكه .

لورينزو : إنه المن تطرحه هاتان السيدتان الجميلتان فى طريق الجياع .

بورشيا : كاد الصباح يدركنا . غير أنى واثقة من أنكم تريدون معرفة المزيد من تفاصيل هذه الأحداث . فلندخل إذن ، واطلبوا منا أداء اليمين قبل استجوابكم إيانا وسنخبركم فى صدق بكل ما حدث .

جراشيانو : فليكن إذن . وسيكون أول سؤال لى فى استجوابى لنيريسا بعد أدائها اليمين هو ما إذا كانت تفضل الانتظار حتى الليلة القادمة ، أم أنها ترى أن نأوى الآن إلى الفراش وقد مضت ساعتان على طلوع الفجر . فإن سطع نور الصباح فسأدعو الله أن يخفيه ، حتى أضاجع كاتب الفقيه . كذلك فلن أحرص على شىء ما كُتِب لى البقاء ، حرصى على صباه خاتم نيريسا الحسنة .